

## تحريف دلالات الألقاب والوقوع في أخطاء تاريخية بغرب أفريقيا " دلالات ألقاب الملوك في إمبراطورية سنغاي نموذجاً "

الدكتور هارون المهدي ميغا

### ملخص البحث:

العلاقة وثيقة بين الدراسات اللغوية والأدبية والدراسات التاريخية، وقد توطدت هذه العلاقة في العصر الحديث الذي لا يمكن فيه لدراسة علمية جادة الاستتكاف عن الاستفادة من غيرها من العلوم، سواء في التحليل أو النقد. قام هذا البحث على نوع من تلك العلاقة في تحليل لغوي/اجتماعي، وتاريخي، لدلالات ألفاظ وتراكيب؛ فبيّن ما نتج عن تحريف دلالات ألقاب الملوك ((زا ZA"، "سُنِّي SONI / SOUNNI"، "أسكيا ASKIA / ASSIKIA"، "تُوري TOURÉ / TORIE)) في إمبراطورية سنغاي، وما وقع من أخطاء تاريخية نموذجاً لما ينتج عن تحريف دلالات الألقاب والأسماء في غرب أفريقيا، سواء كانت ألقاباً لملوك أو لغيرهم، أم أسماء لأماكن أو قبائل أو غيرها. أخطاء لا تزال الألسنة، والبحوث والدراسات، والكتب، تلوّكها من غير تمحيص. لا يزال الكثير من تلك التحريفات والأخطاء التاريخية بحاجة ماسّة إلى دراسات علمية مماثلة تقوم على الاستقصاء، والدقة، والتحليل، وعلى القرائن اللغوية والتاريخية، والاجتماعية، والسياسية، وغيرها، وعلى المقارنة عند ما تكون للفظ دلالات مشتركة في لغة واحدة، أو عدّة دلالات في لغات مختلفة تجاور أهلها قديماً أو حديثاً وذلك؛ لما يحدث بالتجاور، والتواصل، والتعارف من الاقتراض اللغوي لفظاً ومعنى، أو لفظاً فقط.

لا سيما بين شعوب وقبائل تشاركت منذ القدم في الدين، والسكن، والثقافة، والحضارة، مع التزاوج أحيانا كثيرة، كحال معظم شعوب غرب أفريقيا. لكنَّ المضممار طويل، وشائك، وشائق، لمن أراد أن يسير فيه ليفيد التاريخ، وعلم اللغة الاجتماعي، والناس.

تساعد مثل هذه البحوث والدراسات في الوقوف على صلة القرابة بين القبائل لؤلُعب، وعلى بعض مظاهر التأثُّر والتأثير في العادات، واللغة، والثقافة، والحياة الاجتماعية. وتساعد -أيضا- في تحقيق التعارف الإنساني الصحيح على أحسن وجه، ومُعالجة الحيلولة دون التناحرات القبلية، والعرقية، والدينية، التي تغذيها في العصر الحديث عوامل كثيرة ليس هنا موضع بسطها.

### Résumé

Modification des significations des noms de familles ; des erreurs historiques commises en Afrique de l'ouest (modification de noms de familles des rois dans l'empire Songhoï).

Le lien entre les études linguistiques, littéraires et historiques est très étroit. Il s'est d'ailleurs consolidé dans le temps moderne, pendant lequel aucune étude sérieuse ne pourra s'abstenir de profiter des autres sciences tant au niveau de l'analyse que de la critique.

Cette étude s'intéresse à mettre l'accent sur ce lien, en menant une analyse sociolinguistique et historique sur les significations des mots simples et composés.

Elle met en exergue les falsifications des significations de noms de familles des rois ((za, sounni/soni, Assivia, Touré/Askia, Touré/Toi)) dans l'empire songhoï et les énormes erreurs historiques tant au niveau de noms de familles de rois qu'au niveau de noms des ethnies et autres. Des études, des recherches, des livres et des bouches continuent de citer ces erreurs sans analyses objectives.

Beaucoup de ces falsifications et des erreurs historiques ont besoin d'être étudié scientifiquement et objectivement, tout en se basant sur des preuves linguistiques, historiques, sociolinguistiques et politique et en faisant des comparaisons entre les mots qui ont plusieurs sens dans une langue donnée ou dans différentes langues dont les peuples ont reçu ensemble ou entretenu des liens qui ont permis d'emprunter des mots et leurs sens ou des mots seuls.

Cela se manifeste surtout dans des peuples qui ont eu à pratiquer la même religion, à cohabiter et à partager les mêmes cultures et civilisation par le biais du mariage, ce qui fut pour la majorité des peuples de l'Afrique de l'ouest.

Ces genres d'études et de recherches nous permettent de connaître les liens de parenté entre les ethnies et les peuples, de découvrir les aspects des influences au niveau des coutumes, de la langue de la culture et de la vie sociale.

Ces études, nous permettent aussi de réaliser la vraie cohabitation entre les peuples, afin de bannir, toutes les divergences ethniques, raciales et religieuses qui sont en train d'être suscitées dans ces derniers temps.

Cependant, le chemin est long et difficile pour celui qui veut l'emprunter en vue de servir l'histoire et la sociolinguistique.

### المقدمة

هذه دراسة لغوية تاريخية تتناول بالتحليل، والمناقشة، والتصحيح، قضية لها جوانب تاريخية وحضارية، لغوية واجتماعية بغرب أفريقيا، وبالأخص في إمبراطورية سنغاي الإسلامية.

إنَّ في تاريخ أفريقيا ألقاباً كثيرة، وأسماء مختلفة، تعرَّضتْ لتصحيف دلالاتها أو لتحريفها عند تفسيرها بلغاتها هي أو بلغات أخرى، مما أدَّى إلى الوقوع في أخطاء

تاريخية جسيمة؛ بسبب ما بُذِرَ عليها من أحكامٍ تاريخيةٍ وحضاريةٍ ونحوها. وللتصحيح أو التحريف أسباب منها:

- التصقُّح السريع أو القراءة العجلى لبعض المصادر، والتركيز - فقط - على موطن أو صفحات منه في حين يكون في غيرها ما يمكن أن يساعد في تقويم الدلالة وتوجيهها وبخاصة أنه لا يتوفَّر في بعض المصانف الحديثة علمية في كتابة الموضوعات، والأحداث، وترتيبها. أُنكِن قد تعرَّضت لتصحيح أو لتحريفها لتحقِّق أو دُقِّقت تحقيقاً غير علمي أو المتابعة في الخطأ في النقل؛ ومتابعته دون توقُّفٍ جادٍ للتدقيق والتمحيص، ومحاولة الاستقصاء، والموازنة والتحليل.
- الجهل بلغاتها مع غرابة العلاقة الاجتماعية أو التاريخية لكثير من الباحثين في ظلِّ عدم توفُّر معاجم لغوية قديمة للغات ذات الشأن يمكن الرجوع إليها، وعدم توفُّر معاجم حديثة أو تكون متوفرة من غير شرحها بلغات أخرى يجيدها الباحث.
- عدم بناء اختيار الدلالة على أساس الموازنة بين الدلالات المشتركة للفظ الواحد حتى يتمَّ اختيار ما يتناغم مع السياقات والقرائن المختلفة اللغوية، والتاريخية، والاجتماعية، والسياسية... إلخ. وقد نتج عن ذلك كلاً من سرعة الأخذ بالمعنى المتبادر، وإغفال تلك القرائن والسياقات، لاسيما إذا كان المعنى المتبادر يتناغم مع أهداف الباحث ومقاصده في إثبات دليل أو حدث تاريخي يمس - إيجاباً أو سلباً - قومه، أو جنسه، أو دولته، أو تاريخه وحضارته، أو الفكرة التي انطلق منها؛ فيبعد عن الموضوعية، ويخضع للعاطفة أو لعوامل أخرى تفرض عليه تأويلاً معيناً وإن خالف الصواب.
- عدم العناية - إلى عهد قريب - باستعمال الألقاب في الأوراق الرسمية؛ إذ لا يزال أكثر الناس لا يستعملونها في دول مثل النيجر، وبينين، ونيجيريا، وغانا، وغيرها، ورغم ورود كثير منها في كتب التاريخ القديمة، وتداولها شفويًا، ومحافظة بعض العائلات على شجرة أنسابها البعيدة.

وقد يعود عدم الاستعمال إلى جهل بعض أهل تلك الألقاب من المحدثين والمعاصرين بحقيقتها؛ لجهلهم بكونها كثيرة من تاريخهم، أو اكتفاءً بالانتساب العامّ الشفوي إلى شعبه من غير اهتمام بألقاب القبائل والأفخاذ.

- القصد - أحياناً - إلى التخفيّ والتمويه بأن يستعمل شخص غير لقبه الحقيقي؛ لأسباب كثيرة أهمّها الانتقال للعيش بعيداً عن قريته أو موطنه في وسط يجهل نسبه.

لم تسلم دلالات ألقاب ملوك إمبراطورية سنغاي التي قامت في غرب إفريقيا من هذا التحريف للأسباب السابقة أو غيرها. ذلك ما تهدف هذه الدراسة إلى تناوله بالتفصيل والبيان، والتحليل والمناقشة؛ انطلاقاً من لغة سنغاي نفسها مع الاستدلال بأدلة وقرائن أخرى تاريخية، أو اجتماعية، أو غيرها، تُبيّن التحريف وما نتج عنه من أخطاء، ثم تُصحّح القاعدة مشهورة بأنّ ما بُني على خطأ فهو خطأ، وما بُني على باطل فهو باطل.

لم أفق على دراسات علمية سابقة تعرّضت لهذا الموضوع، لكن سبقني في تناول مدلولات بعض الألقاب - على تفاوت - الدكتور جبريل المهدي ميغا؛ فقد تناول مدلولها اللغوي، بالإضافة إلى مدلول بعضها السياسي، والديني، والاجتماعي<sup>(1)</sup>. والدكتور أبو بكر إسماعيل ميغا، وهو متأثر بالدكتور جبريل، وناقل عنه، ومضطرب تارة<sup>(2)</sup>.

وشكك الدكتور إبراهيم طرخان في بعض الدلالات المتداولة وفي المناسبة التقيتُ فيها، مؤيداً شكّه بدليل تاريخي من غير أن يرجح<sup>(3)</sup>. لكنّ ما ورد عندهم - ما عدا د. جبريل إنّما هي إشارات، ولم تشمل كلّ هذه الألقاب عند د. طرخان.

من وثمّ فإنّي أعتقد أنّ هذه الدراسة تختلف عنهم أوّلاً - بالتفصيل، والتحليل، والمناقشة، وبأدلة أخرى لغوية، وتاريخية، وأسياسيّة واجتماعيّة، لم تردّ عندهم ثمّ إنّها - ثانياً - دراسة لغوية تاريخية؛ فهي دراسة لغوية؛ لأنّها تتناول دلالات هذه الألقاب من خلال لغة أصحابها؛ طنح ما تعرّضت له عند تفسيرها من تصحيف أو تحريف. وهي دراسة تاريخية؛ لأنّها تتناول قضايا تاريخيّة وما وقع فيها من أخطاء بسبب التحريف المذكور.

لقد اشتهر ملوك هذه الإمبراطورية بالألقاب لكلّ واحد منها مدلوله اللغوي بالإضافة إلى ما اكتسبه من مدلول سياسي، واجتماعي، وديني لكنّ حُرِفَت دلالاتها اللغوية؛ باتباع الهوى، أو الجهل بها، أو التسرع في تفسير معانيها والتسليم بما شاع فيها من غير تمحيص وتدقيق، وغيرها من الأسباب السابقة.

كلّ أولئك مما أوقع في أخطاء تاريخية لم تسلم منها كتب التاريخ التي عرضت لهذه الإمبراطورية وللشودان الغربي قديماً وحديثاً إلاّ ما ندر.

سيكون التركيز على ألقاب "زا ZA"، "سُنِّي SONI / SOUNNI"، "أسكيا ASKIA / ASSIKIA"، "تُوري TOURÉ / TORIE". وقد يردّ - عرضاً - الإشارة إلى التحريف في ألفاظ أخرى للاستشهاد والبيان.

وقمّ تقسيم الموضوع إلى مقدّمة، وأربعة مطالب، وخاتمة، ثمّ فهرست المصادر والمراجع.

وأخيراً فإنّ هذا البحث العلميّ، وهذه الدراسة اللغوية التاريخية تأتي في إطار سلسلة من البحوث والدراسات يَرجى لها أن تتناول - إن شاء الله - بالتحليل، والمناقشة والتصحيح، قضايا تاريخيّة وحضاريّة، وتعليميّة وثقافيّة، ولغويّة واجتماعيّة، بغرب أفريقيا - قديماً وحديثاً - أسأل الله العليم الحكيم أن يرزق ما نُشرق بولاً، وأن يسدّد القول بموضوعيّة فيما سيأتي.

المطلب الأوّل: لقب "زا، ZA"

الملوك الملقَّبون بهذا اللقب هم ملوك المملكة الثانية لهذه الإمبراطورية<sup>(4)</sup>. وقد وردت بصور مختلفة في كثير من كتب التاريخ، من غير إضافة إلى كلمة أخرى "زا، جا، ضياء، ديا" أو بإضافته إلى كلمة أخزوليه "مَنَ نَ ZA YAMAN"، "زا ضياء اليمن ZA DIA ALYAMAN"؛ فذهب أكثر الباحثين - قديما وحديثا إلى أن المقصود به "نَ" هو دولة اليمن العربية، ثم انطلقوا إلى القول بالأصل العربي لهؤلاء الملوك: اليمن، أو مصر، أو الحجاز، أو طرابلس الغرب، أو المغرب، على اضطرابهم في كتابته، وفي أصله وما وقع في هذا الأصل من تحريف بين "زا، جا، جاه، ضياء، نزايب، مَنَ نَ، زا ضياء.. إلخ.

قالوا عن "زا" إن أصله هو "ذا"، ولمّا لم يكن في لسان سنغاي حرف الذال حرّفه إلى الزاي أو الجيم: "زا، جا"؛ فيكون "ذا يمن، أو ذا أيمن، أو ذا ضياء". وكذلك على القول بأنهم من المغرب.

وقال آخرون: بتحريف "جا" إلى "زا"، يقول عبد الفتاح سيبي: (زا، تحريف للكلمة العربية: جا، و زا اليمن تعني: جاء من اليمن، وكان ذلك بسبب هجرة مجموعة من الشرق إلى سنغاي أثناء نشأة دولتها، وتسبب لهذه الجماعة حكم سنغاي<sup>(5)</sup>؛ فلقب ملوكها ب: "زا"؛ تأسيا بما أطلقوه عليهم من يوم وصولهم إلى سنغاي، وعدد الملوك من هذه الأسرة التوقيّة المهاجرة أربعة عشر ملكا<sup>(6)</sup>).

ويردُّ على هؤلاء الباحثين السؤال الآتي: ما الداعي إلى استعمال "زا" بدلا من "جا" والحرفان موجودان في لغة سنغاي كما في اللغة العربية؟ بل لو افترضنا جدلا صحة هذا الاستعمال لوجود استعمال الجيم بدلا من الزاي في لهجة تنبكتو السنغاية في كلمة "و" لما استقام الاستدلال بها؛ لأن لهجة تنبكتو متأخرة جدا عن لهجة كوكيا

عاصمة سنغاي الأولى التي فيها توحدت جماعات سنغاي الثلاث (ركو، غَوَ، ي، الفلاحين) وهي نفسها - تقريبا - لهجة غاو التي صارت عاصمة للسنغاي منذ عام 690م حوالي عام 85هـ، على يد الملك "ماكا بوتو فاران" MAKA BOTO FARAN، وقد صارت لهجتها - ولا تزال - اللهجة الأم في لغة سنغاي لأن من يجيدها لا يكاد يجد صعوبة كبيرة في فهم اللهجات الأخرى في مالي، والنيجر، وبنين، وبوركينا فاسو، ونيجيريا، والسودان... إلخ ولأن كلمة "و" في لهجة تنبكتو نفسها إذ ما هي فعل أمر بمعنى "ذ" مقابل مرادفه "زا" للمعنى نفسه في أغلب اللهجات الأخرى.

أمّا القول بأن أصله "ضياح" رَف إلى "زا" فأبعد تلك التأويلات لما فيه من تكاليف وتمحُّلٍ شديدين وبتعدٍ عن تبادل الحروف المتقاربة نطقاً في لغتين مختلفتين؛ إذ ليس كذلك الضاد في العربية والزاي في سنغاي حتى يمكن القول بتحريف "ضياء"، فالدال أشبه بالضاد منه بالزاي.

#### مبدأ تلك التأويلات:

- المشهور عن ملوك اليمَّان لقب "ذو كذا" لا "زو كذا" كما في "ذو يزن" ونحوه، ولم أقف في كتب التاريخ لليمن وغيره على لقب "ذو يمن". ولم أقف - أيضاً - في اللغة العربية على استعمال "ذا" فقط على أنه اسم أو لقب لأهل اليمن أو لغيرهم من العرب. وهذا دليل تاريخي إضافة إلى الدليل اللغوي الآتي. وعندئذ ينتفي التحريف المزعوم لـ "ذا" إلى "زاه" وما بُني عليه من قضية الأصل العربي أو البربري لأولئك الملوك<sup>(7)</sup> ويلحظ أن محمود كعت وهو يتحدث عن إعادة بناء تمينيو<sup>م</sup> عام 902هـ بأمر من أسكيا محمد، يذكر من التبيين كانوا في تَدِ دِرْ مَ ملكا اسمه "ذو اليمن بن عبد الحكيم"، وكان أخو أسكيا محمدم كُ مَ زاغ، الملقَّب بـ مَ نَ فاري" هو الذي تولَّى إعلاتينباتون دِرْ مَ وحكمهكن هذا لا ينهض دليلاً؛ لأن الأقرب في



ذو اليمن" - هنا- أن يكفون الي م ن بضم الياء وسكون الميم، ومعناه ذو الخير والبركة، وعلى الافتراض الأول ذو الي م ن "يكون اسوليس لقباً؛ ولأنه خارج محل النزاع وهو الأصل العربي أو البربري لا اليهودي؛ وللجهل بعصر الأئ م لك سنغاي إن ما بدأ من كوكيا عاصمتهم للأئم غاو، بالإضافة إلى حادثة تندر م مقارنة بهما. ثم هل كان هذا الملك ملكاً في المدينة أو كان في زيارة أو مقيماً؟ الأول بعيد.

- يدل لقب "زا، ZA" في لغة سنغاي على أحد أمرين بناء على "ن" - بياء وميم مفتوحتين ونون ساكنة- التي أضيف إليها، أحدهما: أن يكون أصلاً م ن ZA YAMAN، وهي جملة معناها في لغة سنغاي: ذو لأقرب، مركبة من كلمة "زا" بمعنى ذو، "وي" حرف مضارعة للمتكلم المفرد م ن " بمعنى الاقتراب، ثم اختصرت - تارة- بسبب كثرة الاستعمال إلى "زا". واللقب بهذه الدلالة كأها صيغة ميغلة لملك أو رئيس، لكن هذه الدلالة بعيدة؛ لما فيها من الاشتراط؛ ببيان السبب وهو الرغبة في الاقتراب، ومثله غير معهود في صيغ المبايعة.

والأمر الآخر: أن يكون الأصلًا يم ن "ZA YÉ MAN" مركباً من "زا: ZA" بمعنى ذو، "وي" مكسور بكسرة مللة YÉ "حرف نداء<sup>(8)</sup> م ن" اسم ع لم لشخص، لعاه الذي بويع ملكاً بعد اتحاد الجماعات السنغية الثلاث؛ بمقتل الحوت الذي كانوا يقرّبون له القرابين في الجزيرة المشهورة -إلى الآن- تورو غ نغو TORO GONGO ومعناه: جزيرة الصنم، وينطق - أيضاً- بدُ وراغ ونغو TORA GONGO وتقع جنوب مدينة غاو، سيأتي التفصيل عنها.

والتركيب - عندئذ- صيغة مبايعة لشخص اسمه "ن" بأن يتولّى الم لك بلا منازع ولا معارض، سواء كان هو الذي قتل السمك، وهذا الأقرب، أم كان غيره لكن العبارة استعملت في البداية كاملة -تارة- ثم مختصرة في "زا"؛ للشيوخ وكثرة

الاستعمال، وتعدد المتلقين به بعد ذلك، وشهرتهم مع تناسي المناسبة الأولى في استعمالها.

وعلى المعنيين نجد دليلاً لغوياً، واجتماعياً، وسياسياً، نلقول بالأصل غير السنغري لهذا اللقب. وأقربهما وأقواهما - عندي - المعنى الثاني، وهو الذي أرجحه للأسباب الآتية:

□ **مما أوقع معظم المؤرخين في القول بتحريف "إيمان" عن "إيمان" التشابه الشديد في كتابة "يَمَان" / YEMAN / YAMAN، اسم الدولة العربية، وكلمة "يَمَان" المركبة في لغة سنغاي من حرف النداء واسم المنادى، وبخاصة إذا لم تتشكّل الياء.**

□ **ذهب عدد كبير من الباحثين إلى أن "ذا" أو "زا" لقب الملك، واسمه هو اليمن أو أيمن وأشار بعضهم إلى أن هذا الاسم حمل بعض المؤرخين السودانيين ومَن أخذ عنهم على التصوُّر بأنَّه هو وأتباعه قدموا من بلاد اليمن<sup>(9)</sup>.**

وفي دائرة المعارف الإسلاميين "اليمن" اسم شخص (إنَّ منشئ أسرة "زا" رجل نصراني يدعى اليمن<sup>(10)</sup>).

فأنت ترى أنَّ "يَمَان" من مركَّب من اسم الشخص ولقبه، وكتب الاسم بعدة صور "اليمنين للأيمان، مَن ن."

يؤيد الأخيون "التحليل اللغوي، والاجتماعي، والسياسي، السابق الذي رجع به إلى جملة مكونة من ثلاث كلمات سنغوية.

ومما يؤيد ده وجود استعمال لفظ "يَمَان" علماً لشخص في لغة سنغاي منذ القِدَم؛ فقد ورد استعماله مركباً مع اسم آخر، ومجرداً، لأحد أحفاد أسكيا داود؛ إذ يذكر صاحب

" تذكرة النسيار" هـ في عشيّة يوم الأحد الثالث والعشرين من جمادى الآخرة عام 1114هـ (توفي أسكيا محمد بن الحاج محمد بن أسكيا بن نكر بن بلعم صادق بن أسكيا داود - رحمه الله - ، وقامت الفتنة بين أهل سَكَغْرِي هـ ن فاري عمار وبين أولاد مَن ، المذكور)<sup>(11)</sup> .

أمّا دعوى النصرانية فغير صحيحة؛ إذ لا دليل على وصول النصرانية إلى المنطقة في هذه المدّة ولأنّه لو كان كذلك لوجدت آثار من كنائس ونحوها، إضافة إلى أنّ مقتل الحوت، وتوحيد جماعات سنغاي الثلاث تحت سلطة واحدة تمّ ذلك كلّه قبل الميلاد بعدّة قرون، كما سيأتي.

□ **الاضطراب بل التناقض** في تحديد زمن وصول أولئك الذين يقال بهجرتهم إلى منطقة سنغاي من البربر بين قائل بالقرن الخامس الميلادي، والقرن السابع الميلادي، والتاسع الميلادي<sup>(12)</sup>. والاضطراب كذلك في موطنهم الأصلي: اليمن، ومصر، وطرابلس الغرب، والمغرب، وفي طريقة وصولهم.

أمّا التوفيق بينها بأنهم خرجوا من اليمن أو الحجاز أو لا ولمّا وصلوا إلى المنطقة عن طريق مصر، أو طرابلس، أو المغرب نُسبوا إلى الأخيرين - أيضا- أمّا هذا التوفيق فمستبعد بسبب أنّ مصر والمغرب لم يكونا منفذي العبور الوحيدين إلى المنطقة.

ومن مظاهر هذا الاضطراب والتناقض إغفال أنّ توحيد قبائل سنغاي تحت سلطة واحدة سابق للتواريخ المذكورة، ثمّ إغفال عدد أولئك البربر أو العرب الذين وصلوا، وكيفية وصولهم: هل وصلوا في شكل غزو أو بشكل سلمي؟ أفرادا أو جماعات؟ وما للفتح التي جعلتهم يتركون مناطقهم في داخل الصحراء؟ وكيف تمّ لهم السيطرة في المناطق الجديدة بقبائلها؟ كلّ هذه وغيرها أسئلة لا بدّ من إيضاحات حولها

بدلاً من الاكتفاء بالقول بأن مجموعة من "لمتونة" البربرية أو من الشرق العربي وصلت مناطق سنغاي وفرضت سيطرتها وحكمها عليهم، الذي يحلو لبعض كتب التاريخ ترديده من غير تمحيص ولا إجابات عن هذه الأسئلة.

ولم نتج كتب التاريخ الإسلامي والقومي بالمنطقة من ذلك الخطأ في أصول سنغاي الذي لا تزال تتناقله من غير تدقيق ولا تمحيص. ففي "تاريخ الفتاش" نسبة ملوك سنغاي إلى أسباط الصحابي جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وأنهم ثلاثة إخوة قتل كبيرهم الحوت الذي كان يعبد سنغاي، مع نسبتهم -تارة- إلى اليمن، وتارة إلى المدينة المنورة، وأخرى إلى المغرب<sup>(13)</sup>؛ وأنه قدم إلى المنطقة هو وأخوه. القصة منقولة عن الجن، وهي أسطورة ملفقة واضحة الوضع والكذب. نعم النظر في الأسئلة المثارة حول هذه القصة التي ذيّلها الناقل فسده (مما ليس له طائل، يكاد أن يكون أكثرهم أكاذيب ونستغفره تعالى)<sup>(14)</sup>.

وفي "تاريخ السولان" الملك الأول من اليمن، وأن "زا الأيمن" تحريف لـ "جاء من اليمن"<sup>(15)</sup>. ويقول بعض الباحثين: (قد يكون أصل أسرة ضياء - حسب الرواية- من أصل بربري جاءت من طرابلس فحكمت السونغوي، وتحدثت رواية أخرى بقدم أميرين عربيين من الشمال ارتضى السكان بتوليتهما إمارة البلاد)<sup>(16)</sup>. أمّا ما ذهب إليه السعدي من أن أول ملك كان اسمه "زا الأيمن"، وما ساقه من قصة عن هذه التسمية<sup>(17)</sup> وعن توليه الملك في سنغاي فيدفعنا إلى هذه الأسئلة: من حدّ رّف "جا" إلى مع وجود الجيم في لغة سنغاي؟ ثم لم حدّ رّف "اليمن" -أيضا-

إلى " الأيمن " إذا كان أصله " جاء من اليمين " أو " جاء اليمين " مع وجود الياء في لغة سنغاي، وسهولة النطق بالأخير؟

**والصوابين** مقتل الحوت، وتجمُّع جماعات سنغاي الثلاث تحت سلطة واحدة، واتخاذ دُوكيا عاصمتهم الأولى، وكذلك ما عُرِف من بدايات السرد التاريخي والسياسي لهذا الشعب، كل ذلك تمَّ قبل الميلاد بعدة قرون<sup>(18)</sup>، فكيف يكون ملوكهم من المدينة ومن أسباط الصحابي جابر بن عبد الله رضي الله عنه؟ وكيف يولدون عليهم غريب الدار واللسان في زمن التعصُّبات حتى بين قبائل الشعب الواحد، وقد كان الصراع شديدا بين هذه الجماعات الثلاث نفسها قبل تجمُّعها المذكور؟ ولم أقف على صراع أو نزاع بين المتلقبين بـ " زائتصر فيه أحدهما على الآخر بمساعدة هذا الغريب؛ فيؤلِّيه المنتصرون مكافأة له على البذل والعطاء وغيرهما؟

وأمر آخر: كيف تحول الأحفاد جميعا إلى سود<sup>(19)</sup> ولا يزال أبناء قبائل عربية وطارقية حُمُرا إلى الآن، رغم قدِّمهم في المنطقة الصحراوية، والعرق - كما نعلم جميعا - جذَّاب؟! وفي الحديث النبوي " لعلَّ العرق جذبة " قالها الرسول صلى الله عليه وسلم للذي أراد أن ير مي زوجته بالفاحشة؛ لاختلاف لون ابنه المولود حديثا عن لونه.

ثم تدبَّر معي هذا الاضطراب في العدد، ففي " تاريخ الفتاش " ثلاثة إخوة من اليمين، وفيه - أيضا - ثلاثة من المدينة ( ابنا خالتي، وابن أختها )، وفي " تاريخ السودان " أخوان ويقول بازيل دافيدسون<sup>(20)</sup>: إنَّهم عدد من البربر على صلة بالمتة في ليبيا.

ومن المهمّ جدّاً التنبّه إلى ما تعرّض له كثير من مصادر تاريخ المنطقة من تحريف وتصحيف، وحذف وزيادات ليست من مؤلفيها وبخاصة "تاريخ الفتاش"، ووجود نسخ أصلية لدى بعض الأفراد يعترفون بأدّها أحسن من المطبوعة، يكتمون أمرها ولا يرغبون في نشرها ولا في إطلاع غيرهم عليها لشيء في نفس يعقوب<sup>(21)</sup>، وسيأتيك البيان.

وليك نماذج ذات صلة بموضوعنا من غرائب هذا التحريف لدلالات الكلمات ما وقع في لفظاً وعاصمة إمبراطورية سنغاي، حين حرّف فكتب بالجيم التي تسمى المصرية "جاو" محرّف من بعض المؤرخين المعاصرين إلى "جاو" بهمزة فوق الواو، على أنه فعل ماض من "جاء" مسند إلى واو الجماعة وبالجيم والألف على أسلوب قصر الممدود "جا"؛ ليتوصلوا بهذا الاستنتاج إلى مجيء أجداد السنغيين أو أولئك الملوك من الأصول السابقة فمن أين لهم أن لغة سنغاي تقصر الممدود؟

بالتحريف نفسه يحاول بعض الباحثين الفولانيين الرجوع بكلمة "غاو" إلى لغة الفلاتة ومعناها؛ ليتوصل إلى فولانيّ تهافي حين أن أصل هذا اللفظ في لغة سنغاي إمّا اسم لشجرة مشهورة - إلى الآن - في المنطقة، يغلب إطلاقه على المكان الذي توجد فيه بكثرة. وكذلك كان الموقع الذي اختير لهذه المدينة. من ذلك في العصر الحديث تسمية حارّه "اوي" في مدينة نيامي عاصمة جمهورية النيجر، ثم تسمية الفندق الرئيس فيها "HOTEL GAWAY". وفي المدينة نفسها - شرقاً - حارة اسمها "شجر غاو" تسمى بلغة سنغاي في النيجر "غاو" وبالهورس دان غاو، وقد جاءت كل هذه التسميات من وجود تلك الشجرة في المكان.

أو "غاو" لفظ مركّب من كلمتين: "غا"، بمعنى البقعة من الأرض، و"و" اسم إشارة بمعنى هذا، أي هذه البقعة استعملت عند البحث عن بقعة تؤول إليها العاصمة من مدينة كوكياناهيك عن أن مدينة غاو عرفت بهذا الاسم منذ زمن بعيد.

ومن غرائب هذه التحريفات زعم بعضهم - كالدكتور محمد الغري وغيره بأن كلمة زنج وزنوج تحريف لكلمة صنهاجة، جنسا وأرضا<sup>(22)</sup> في حين أن المصادر العربية القديمة التي تحدّثت عن السودان وهجراتهم تذكر الزنج بين الشعوب السودانية التي اتجهت - بعد عبور النيل - نحو الغرب والجنوب، كاليقوبي (ت283هـ)، والإصطخري (ت346هـ)، والمسعودي (ت446هـ)، والبكري (ت487هـ) وغيرهم، كما تحدّثوا عن البربر وصنهاجة، فهل هؤلاء - أيضا - فوا صنهاجة إلى الزنج؟ ولم؟! ومن غرائبها زعم د. محمد القشّاط وغيره أن السنغال تحريف لـ"صنهاجة"<sup>(23)</sup>. هأنسفنغاء، الألبان، ههه علد شخص، اسم جدّهم الأوّل سنغاي بن برّاس (او برس)، هم اصوعى سعبه وعسى الإمبراطورية. ولا يمكن أن يخفى على الكاتب شيوع تسمية شعب أو قبيلة باسم جدّها الأعلى؛ لأنّ تسمية معظم القبائل العربية وأفخاذها وبطونها من هذا النوع إلّا إذا كان يرى ذلك حصرا على العرب. لذلك فتسمية سنغاي باسم جدّهم صحيحة. وكونه رجلا أبيض غير صحيح، انطلق منها للقول بعريته أو بربريته، كما سيأتي.

ومنها: ما ذهب إليه د. الهادي المبروك الدالي - وهو من أشهر القوم في هذا المجال من أن كلمة "الفلان" تحريف للكلمة العربية "ألفان = 2000" معللا له بأن عقبة بن نافع الفهري الذي ينتسب بعضهم إليه كان ترك ألفي عسكري على ضفاف نهر النيجر؛ فتزاوجوا مع السكان الأصليين وكونوا الشعب المعروف اليوم بـ"الفلان؛ كل ذلك من أجل نفي الأصل اليهودي الذي قيل به - أيضا - لهذا الشعب<sup>(24)</sup>. وليس ذلك بحاجة إلى مثل هذا التأويل.

ومن أشدَّ غرائب هذه التحريفات القول بأنَّ السكان الأوائل لمدينة "أبيدجان ABIDJAN عاصمة ساحل العاج من العرب بحجة أنَّ " أبيدجان " تحريف لـ "عبيد الجان" ، كما يرى عبده بدوي ، فهل كان هؤلاء العرب عبيدا للجن ؟ إنَّ العرب الذين عاشوا - ولا يزالون - في غرب أفريقيا وكان لهم أثر كبير في نشر الإسلام وحضارته واللغة العربية بالمنطقة ليسوا بحاجة إلى هذه الترهات لإثبات وجودهم.

#### المطلب الثاني : لقبُ نَيَّ SONI /SONNI "

ورد في مختلف المصادر والمراجع العربية وغيره بعدة صور أبرزه لنَيَّ ، سونِي، سُنِّي SONI ، SONNI ، SOUNNI ؛ فقول: معناه "الرجل الأبيض" أو "بييض؛ ليتوصل محمد القشَّاط بذلك إلى اكتشاف مهم وهو أنَّ هؤلاء الملوك إمَّا من العرب أو بربر طرابلس<sup>(25)</sup>.

وهو يخلط أو لا - بين شعبين هما: السنغاي، وهم شعب إمبراطورية سنغاي، وهذا تسمية لهم باسم جدِّهم الأوَّل وهو سنغاي بن يراس أو تراس، وبين السوننكي وهم شعب إمبراطورية غانا، ويسمَّون في السنغال وغامبيا وموريتانيا بالسراكولي، وفي مالي بالسوننكي أو ماركا.

ولفظ سوننكي في لغتهم وفي لغة سنغاي بمعنى أهل سنغاي وأهل سوني ، فحرف "ي" بإمالة الكسرة ومدَّها للنسبة في اللغتين كما تُستعمل كلمة "سوننكي" في لغة سنغاي لمعنيين آخرين هما: الوصف بالمهارة في أعمال السحر التي اشتهرت بها قبل الإسلام، ووصف الشخص بأصالة نسبه في هذا الشعب<sup>(26)</sup>.

ويقول عبد القادر إدريس أربون في تفسير معنى "نَيَّ" (وتسمَّى بسُنَّ " أنت الآن" )<sup>(27)</sup>. ولا أعلم هذا المعنى في لغة سنغاي ويبدو أنَّه مركَّب من كلمتين "



سُغُ Song "بغين مشبّع بالنون المخفية، بمعنى الآن، و"نِ بِمعنى أنتَ، فلما كان الأخير من الكلمة الأولى لا يوجد له مقابل في العربية كتب بالنون ثم أدمجت النونان. لكن يرد عدة أسئلة: من الذي سأل هذا السؤال الذي لا يخلو من الاستغراب في التوقيت؟ وكيف تلقّب به مع ما فيه من استعرا ب تولّيه السلطة وتوقيته؟ وكيف نوفق بينه وبين مرادفه الذي يتردد معه كثيرا في كتب التاريخ سُدي " ؟

وفي " تاريخ الفتاش" نقلا عن الشيخ محمود تل: معنيته (ي، أو سُ ن، أو سُكُنِي: بَنَ نَد، في لغة سنغاي، أي خليفة السلطان أو بدله أو عوضه)، وأيّده عبد الله موسى برزي<sup>(28)</sup>.

ومنهم مَن يرى أنه مركّب من سُ ن. بِمعنى سيّد في لهجة تنبكتو السنغية، سورة؛ إذ علام يدلّ؟

**والمشوّاب الذي يترجّح لدَيْن** هذا اللقب نسبة إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول د. محمد المرّي بعد ذكر عدة صور لكتابته: (والأصح الأخير بل نُي [وهو نسبة إلى السنة، والاسم على هذا النحو شائع في تنبكتو]<sup>(29)</sup> وبلد نُي بِمعنى حامّي السنة)<sup>(30)</sup>.

ويقول الشيخ الأمين عوض الله: " وفي عام 1336م تولّى حكم سنغاي علي كولن الذي أطلق على نفسه لقب سُ نُي؛ نسبةً إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباعه لها"<sup>(31)</sup>.

ولا علاقة له بظاهرة ادعاء النسب إلى الأصول الشرقية العربية وإلى بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، التي حاول أحد الباحثين أن يعلل بها لترجيح كونه نسبة

إلى سنة الرسول (ﷺ) لأنَّ هناك فرقا بين النسبة إلى سنته صلى الله عليه وسلم إلى بيته.

يرادف هذا اللقب "شي" ومعكافؤ "أبي" لا يرضى بالضميم<sup>(33)</sup> وكأنه تلميح إلى رفض ذينك المذهبين ( الخوارج، والشيعية) إلى رفض التبعية لملوك آخرين، أو لمذهب غير المذهب السني..

أول من تلقب بسني " هو علي كولن وأخوه سليمان ابنل الملك زاياسدي ، لمّا تخلصا من رهن ملوك مملكة مالي، وأسسا عام 735هـ 1336م المملكة الثالثة لإمبراطورية سنغاي الإسلامية؛ إعلانا عمليا منهما - فيما يبدو - برفضهم لمذهبي الخوارج والشيعية اللذين أخذوا يفدان مع التجار وبعض الدعاة والمهاجرين من شمال أفريقيا. كانت المملكة الإسلامية الرسمية في تهاوت وغيرها، حتى اشتهرت قصة دخول الإسلام وانتشاره في مملكه مالي بإسلام أول ملك من ملوكها على يد رجل من الخوارج الإباضية. نقضت القصة في بحث آخر<sup>(34)</sup>. وقد أشار ابن بطوطة إلى وجود جماعة من البيضان يذهبون مذهب الإباضية من الخوارج في بعض مدن السودان الغربي، وأنَّ السنيين المالكيين منهم يسمون عند أهل تلك المدن بـ"وري"<sup>(35)</sup>. ستأتي مناقشة هذه التسمية.

فكأن سني علي أخذ هذا اللقب يرسم منهجه المذهبي والسني وموقفه من كل ما يخالف منهج أهل السنة والجماعة بوضوح وصراحة وصرامة<sup>(36)</sup>. ويرسم في الوقت نفسه المنهج والموقف اللذين يرجو لمن بعده أن يسيروا عليهما في المملكة، نظريا

وتطبيقاً، سواء تعلق بالأمر الديني - كما في المنهج والموقف السابقين - أم بالدنيوي، ويتمثل في الإباء، والعزّة، والاستقلالية، ومقاومة التبعية للغير... إلخ.

ومن الجدير بالإشارة أنّ عبد الرحمن السعدي ينعت سنّي علي بير في غير ما موضع من كتابه "تاريخ السودان الخارجي"<sup>(37)</sup>، وعليف يكرّ اعتناق أهل السودان الغربيّ لمذهب الخوارج؟

والجواب أنّ السعدي إنّما يطلق عليه هذا اللفظ من حيث زعمُ خروج سنّي علي من الإسلام؛ بسبب موقفه من بعض الفقهاء والعلماء، لا من حيث كونه معتقداً لمذهب الخوارج حقيقة.

لا أدلّ على هزل أنّ سونّي علي بليس أوّل من تلقّب بهذا اللقب بل قبله آخرون كثيرون ولم يقل أحد حتى السعديّ -بخارجيّتهم وليس يخفى أنّ السعدي قد بالغ هو ومحمود كعت - رحمها الله- في كثير من الأوصاف السيئة التي وصفها بها<sup>(38)</sup>، وفي كتابيهما ما ينقضهما حتى فيما ذكراه عن موقفه من العلماء، ليس هنا موضع تفصيله، وكفيك قول السعدي عنه: (مع هذه الإساءة كلها التي يفعل بالعلماء يقرّ بفضلهم، ويقول: لولا العلماء لا تحلو الدنيا ولا تطيب، ويفعل الإحسان في آخرين ويحترمهم)<sup>(39)</sup>.

ومما يتعلّق بتحريف هذا اللقب وما نتج عنه من أخطاء تاريخية: قول أحد الباحثين عن سنّي علي بير: (إنّ معظم العلماء كانوا ينتقدونه، حيث كان مسلماً لم يحسن إسلامه، ولم تحمّد سيرته، وفوق كلّ ذلك كان سنّي رمزاً للثقافة السنغوية التقليدية)<sup>(40)</sup>.

ويقو آخرون إنَّ سوني علي بير كان (وثنيا بارعا في السحر حتى لُقِّبَ بـ"البي" أي الأعلى، والإسلام عنده غطاء سياسي، لا غير)<sup>(41)</sup>.

فأنت ترى اتهامه بالنفاق "مسلم لم يحسن إسلامه، ورمز للثقافة السنغوية التقليدية - منها السحر - قبل الإسلام" له لقب بـ"غالي" أي الأعلى؛ لوثنيته وبراغته في اللغو، ومن ثمَّ فالإسلام عنده اسم بلا مسمَّى، أو كما يقول بعض الغربيين المعاصرين عن إسلام الأفريقيين: "الإسلام الأسود، أو الإسلام السطحي"<sup>(42)</sup>.

والصواب أنَّ "غالي" ليس معناه في لغة سنغاي: الأعلى، ولا علاقة له لا بالسحر ولا بالبلغة فيه؛ لأنَّه أَفْرَقَةٌ (أي تحوير في النطق على الأساليب الأفريقية للاسم) "ي" ، وهو اسم الملك نفسه "بني علي بير"؛ إذ من أساليب النطق في بعض لهجات سنغاي قلب حرف العين العربية غَينا، وذلك في كلمات كثيرة، حتى إنَّه ليصعب - أحيانا - على من تعودَّها أن ينطق بحرف العين العربية؛ فـ"عالي" تحوير في النطق بـ"علي" بمدِّ فتحة العين بألف، وكثيرا ما يذكره صاحب الفتاش بـ"ي ع آل"، كما يكتب عليَّ " - أحيانا - هكنه ل" <sup>(43)</sup> ويُنطق هذا اللفظ المحرَّف بالعين "غالي"، كما ينطق - أيضا - بإصاق الهمزة المفتوحة في أوَّله "أغالي". وهي استعمالات لا تزال قائمة في بعض لهجات لغة سنغاي شمال مدينة غاو في مديرية بمبا وما جاورها.

ومن الكلمات العربية الواردة في لغة سنغاي وقد حُرِّفَتْ فيها العين إلى غين: أغُرْمُ، وغُمُرٌ، فعيُّمَ رَسَّ وَعَيبُ "في شُدُّ عيب"، غَوَّيْلُ شَدَتْو "في عَاشَةُ"، وَأَعْيَسِي "بفتح الغين أو كسرهما في "عيسى" سَوُّ مَا غَيُّ لُو" في "إسماعيلُ يُوْدُو، وسَدَّ غَيُّ دُو" في "سعيد" ... إلخ.

أرأيت كيف أنَّ تحريف دلالة هذه الكلمة وعدم التثبُّت والتدقيق فيها أدّى إلى اتهام مسلم بريء بادِّعاء الألوهية وتشبيهه بفرعون الذي قال : { أنا ربُّكم الأعلى } [ النازعات 24 ] ها هيكَ عن الوقوع في أخطاء تاريخية!!!

**المطلب الثالث : لقب "أسكيا" ASKIA , ASSIKIA**

مما شاع في كتب التاريخ القديمة والحديثة أنَّ لقب "أسكيا" ASKIA /ASSIKIA/ معناه : "لا يكون إيَّاه، أوالمغتصب" وأنَّ سبب ومناسبة تلقب أسكيا محمد أبو بكر بن علي بير، هو أُلغى ثللولك سُنِّي أبو بكر بارُّ بن سُنِّي علي بير، وانتزع الحكم منه، فلمَّا بلغ الخبر أخوات سنِّي أبي بكر فُلنَّ في صوت واحد أسكيا، على أنَّ معناه: لا يكون إيَّاه أو المغتصب. فما كان منه إلاَّ أن أمر بأن لا يلقَّب إلاَّ به؛ فصار أوَّل من تلقَّب به<sup>(44)</sup>، (والمؤسس الأوَّل لأسرة الأسكيين)<sup>(45)</sup>.

ومن الذين لم يرتضوا المعنى السابق مَن تردَّد؛ فيذكر تارة المعنى نفسه<sup>(46)</sup>، ورجع في حُجَّة من أمره متأثراً بغيره، في تفسير هذا اللقب وغيره من ألقاب ملوك سنغاي، فقال: معناه: ممنوع جريان اسم الملك على الألسنة؛ إجلالاً له ومهابة؛ فخالف ما تقدَّم في كتابه نفسه من غير أن ينتقده<sup>(47)</sup>.

ومن هذا الفريق مَن ذكر المعنى المذكور لا يكون إيَّاه" والرواية في سببه ومناسبتة، وشكَّ فيهما ونقضهما ضمناً بما ذكره محمود كعت في "تاريخ الفتاش" من أن كياً محمد بن أبي بكر ليس أوَّل من تلقَّب به، لكنَّه لم يناقش الأمر<sup>(48)</sup>، سيأتي نصُّ كعت والبيان -إن شاء الله-

وفريق آخر رجع إلى لغة سنغاي في تفسير هذا اللقب ثم إلى "تاريخ الفتاش" في نقض المعنى المنتشر ومناسبتة وعلى رأسهم الدكتور جبريل المهدي ميغا، الذي لم

يُسبَق - حسيمًا وقفت عليه - إلى بيان المدلول اللغوي، والسياسي، والديني، والاجتماعي، للقب " زاء، وأسكيا "، ولا المدلول السياسي والاجتماعي للقب " تِي " (49).  
والحقيقة أن لقب " أسكيا " ليس معناه " لا يكون إيّاه، ولا المختص بـ "، وليس أسكيا محمد الكبير بن أبي بكلوّل من تلقّب به. ومن ثمّ لا صحة للتعليل والمناسبة المتداولين في كتب التاريخ القديمة والحديثة.

والفيصل في هذا أمران، أحدهما: مدلول الكلمة في لغة سنغاي، والآخريض

محمود كعت في كتابه " تاريخ الفتاش " وإليك البيان وبعض الأدلة:

**1 - لكلمة أشد كيا " في لغة سنغاي نطقان ومعنيان: أحدهمألد تِي يا " بهمزة مفتوحة، وشين وتاء مكسورتين، وياء وألف. ومعناه: لا يكون إيّاه " . وينطق في بعض المناطق بجنوب مدينة غاو إلى حدود جمهورية النيجر بالسین للمعنى نفسه، حتى لا تكاد تجد لديهم حرف الشين. هذا النطق الأخير هو الذي أوقع في اللبس بينه وبين ما يأتي.**

والآخر: أشد كيا " وينطق هكذا " ACICHIA "، بهمزة مفتوحة، وسين " CI " " أو شين " SHI " مكسورة، حرف نفي ك " لا " النافية في اللغة العربية، ثم شين مفتوحة مخفية في التاء، كما في " CHA " من الكلمة الإنجليزية " CHAIR " أي كرسي، أو في النطق الفرنسي لـ " Tcha " من كلمة " Tchad " للدولة المعروفة في وسط أفريقيا وعاصمتها إنجامينا، ثم ألف مقصورة. ومعنألا يُ نادى باسمه. والنداء في لغة سنغاي هو " CHA أو CHIA ". والشين " SHI " أو السين " Ci " حرف نفي. والفعل " CHIA "، والفاعل " A " واللفظ هذا قد يكون اختصاراً من أسلوب آخر يدل على البناء للمجهول بإضافة " NDI " إلى آخره؛ فيكون أصله " ACICHIANDI "

ومعناها "لا يُنادى"، كما تقول: "ACIηANDI" في طعام كثير لا يمكن أكله كلّه، أو في طعام تعافه النفس بسبب زيادة الملح، ونحوهما. ولو قلت فيهما بأسلوب بناء آخر للمجهول: "ICIACHÉ ، ICIACHA" لأدّى المعنى نفسه في الموضعين السابقين، أي لا يؤكّل، ولا يُنادى.

والفرق بين الصيغتين أنّ الأولى أفادت البناء للمجهول بصيغتها؛ فالفاعل "A" موجود وهو ضمير، والفاعل "CHIA" مبني للمعلوم. والأخرى بالتركيب من فعل مبني للمجهول ونائب فاعله "I".

ويجب أن يُلاحظ أمران، أحدهما أنّ الشين "SHI" قد تكون بدل السين "Ci" في كلّ هذه العبارات والمعنى لا يتغير؛ فكلاهما من لهجات لغة سنغاي وإن كان استعمال الشين أكثر. والأمر الآخر: أنّهما أي السين "Ci" والشين "SHI" حرفا نفي "ك" لا "في اللغة العربية.

ولا يزال أكثر العامّة والخاصة يستعملونه بالنطق الأخير إما بالسين "ACICHA" أو بالشين "ASHICHA"، ولا يكادون ينطقونه بالكاف إلاّ من خلال الكتابات لذيوعة في العربية والفرنسية والإنجليزية؛ ولعدم وجود "CHIA" في الأوليين. فالنطق الأخير ومعناه: "لا يُنادى" أنّ مَنْ تُلَقَّب بهذا اللقب أو اشتهر به إنسان لا ينادى باسمه - هو الصحيح؛ توقيرا له ومهابة. وهذه هي الدلالة الأصلية فيه تطوّرت الدلالة فاستعمل لقباً لأعلى رتبة عسكرية في جيش سنغاي، ومنه استعماله لأسكيا محملاً على قائد لجيش سُنِّي علي بيرلقوّاد كبار قبله، كما سيأتي. ومن المسلّم به استعمال الرتب العسكرية بدون الأسماء. وفي تطوُّر دلالي آخر لغوي واجتماعي وتاريخي استعمل اسم أو لقباً من غير نظر إلى الرتبة العسكرية.

هذا النطق ومعناه هو الذي يترجح في دلالة لقب أسكيا "لأسباب منها أنّّه تؤيده لغة سنغاي ويؤيده التاريخ الذي أثبت استعمال هذا اللقب قبل أسكيا محملاً على كبار في الجيش كما سيأتي. وهو الذي يتناسب وعدالة أسكيا محمد وتدينه وصلاحه،

وهيبة الم لك؛ إذ يُجمع مؤنرٌ خون على وصفه بالإمام العادل، والسلطان الفاضل، ونحوهما<sup>(50)</sup> كما وُصِفَ - أيضاً بأندلس - نبي المذهب، سلفي العقيدة، يهتم كل الملائمة بإصلاح حال رعيته، وتقويم السلوك فيها، بما يتلاءم والعقيدة السلفية وسنة النبي صلى الله عليه وسلم التي اختارتها البلاد، ويؤمن هو شخصياً بها، وكان فاهماً حقيقة الإسلام<sup>(51)</sup> ومملوفاً به أنه مسلم مخلص، نقي ورع، يستهدي بتعاليم الإسلام في نظام حكمه، أمعن في إحاطة نفسه ببطانة من العلماء يلزمونه، ويستشيرهم في كل الأمور عن رأي القرآن والسنة، وقد أصبحت هذه السياسة الإسلامية سياسة مقررة لخلفائه<sup>(52)</sup>.

وهو الذي يتناسب - أيضاً - مع عادة اجتماعية متوارثة، لا تزال منتشرة في أفريقيا - إلى الآن - وغالبة على العامّة والخاصة في كثير من الشعوب، وهي أن لا يُنادى شخص يراد تعظيمه باسمه الخاص به، سواء كان أميراً، أم ملكاً، أم رب أسرة، أم عالماً، أم ذا هبة ومكانة. فكل واحد من هؤلاء لا ينادى باسمه العلم، بل يلقب بلقب فيه مهابة واحترام، وتعظيم.

خذ من الأمثلة المعاصرة رئيس جمهورية مالي الأسبق الجنرال موسى تراوري، الذي كان يُلقب بـ "بلا BLA"، فكنت في أيامه ترى طفلاً قد لا يتجاوز عمره الست سنوات وتُساله عن الملقب به فيذكره لك؛ أخذاً من عادة انتشرت بين قبائل البمبارة في تلقيب كل من اسمه موسى بهذا اللقب، وبخاصة إذا كان ذا منصب ومهابة؛ للدلالة على القوّة والمهابة، والتفاؤل بالانتصار كما انتصر موسى عليه السلام على فرعون، وقد كان يُرى في الرئيس موسى في أيامه الزاهية - هذه الصفات حقاً أو باطلاً. ومنها: نأ رئيس جمهورية ليجر الأسبق الجنرال حسين كُنْشي، كان لا يلقب في بلاده



إلا بالرجل أُرُ بورا ARBORA " بسبب الهيبة منه كما أنَّ الغالب أنْ كُتِفَى في نداء الرئيس بألقاب من قبيل الأمير، أو صاحب البلد، أو صاحب القوَّة، أو غيرها، من غير أن يفتنر باسمه العلَّام يبتادر أنَّهُ المعنيَّ به.

2 ليس أسكيا محمد الكبير هو أوَّل من تلقَّب بهذا اللقب، بل سبقه إليه أساك كثير، عاصر بعضهم سُ نِّي علي بير، وعمل آخرون في قيادة جيشه، بشهادة القاضي محمود كعت صاحب "تاريخ الفتاش أحد أبرز العلماء السنغيين المقرَّبين من أسكيا محمد، والملازمين له في حلَّه وترحاله؛ فقد ذكر هذا اللقب وما اقترن به من سوء دجُّ العفَّال الناس بأنَّ محمد بن أبي بكر أوَّل من تلقَّب به؛ فاستغرب هذا الاعتقاد، واستنكره، وردَّه، ثم وعد بتفصيل القول فيه بعدُ لكنَّه ذهل عنه في بقية الكتاب لأمر سيأتي ذكر شيء منها، إن شاء الله .

والمهم هنا نصُّ شهادته فاسمعه إذ يقول عن سُ نِّي علي بير: ( ثم مضى ورجع إلى كاغ [غاو].. وطلع عليه شهر رمضان وصلَّى العيد فيها، ثم أخرجهم كِيا بَعْن وَأَوْسَل إلى تَسْدُك فأنظر اسم أسد كِيا في وقت شِ يـ [نِّي علي بير] وزمنه، وهو ليَهْجَلُ اللَّغِي بِأَنَّ أَسَدِ كِيا محمد هو أوَّل من لُقِّبَ به، وتسمَّى بذلك، حتى ذكروا سبب تسميته وتلقبيه، نذكر ذلك قريبا في ترجمة أسكيا محمد، وهذا غريب جدًّا (53).

لقب أسكيا - إذن - كان معروفا ومستعملا في سنغاي لملوك وقادة جيش قبل أسكيا محمد فكيف يصح أن أسكيا مدهو أوَّل من تلقَّب به ؟ ثم كيف يصح التعليل له المتداول باغتصاب الملك رغم انتشاره قبل القصة ؟ وإذا كان القاضي محمود كعت - وهو من العلماء الملازمين لأسكيا محمد - قد استغرب جدًّا، واستنكر شيوعه قديما، فلعلنا أشدَّ منه استغرابا واستنكارا لشيوعه بين العلماء والرَّسِين حديثا، ونصَّه هذا في متناول أيديهم !!!

وأما أن القاضي محمود لم يفسد فيه كما وعد عند الترجمة له<sup>(54)</sup>؛ فلعلّ عذره الهول، وقد يكون ما ذكره سقط من نسخة كتابه التي بين أيدينا؛ بدليل أن النسخة الأصلية للكتاب فُقدت أو دُفنت مع آلاف الكتب عند الغزو المغربي لإمبراطورية سنغاي، أو أبيدت خلال الغزو الفلاتي، جيش الحاج عمر الفوتي لتبكتو وجذّي في القرن التاسع عشر الميلادي، وما رافقه من نهب وسلب<sup>(55)</sup>، وفي النسخة المطبوعة زيادات تدل على هذالعلّ الله يبسر للباحثين الجادّين المثابرين تتبعتها.

وهناك رواية شفوية متداولة بين الباحثين في مدينة تبكتو عن ضياع النسخة الأصلية من "الفتاش" تمثل في أن نسخة وحيدة أصلية بخط المؤلف كانت عند عجوز تعيش وحيدة في كوخ بمدينة تندرُم قرب تبكتو، وفي الغزو الفلاتي المذكور انتشر خبر هذه النسخة فتسلل رجل إلى العجوز على أنه عابر سبيل ولازمها مدة تعرف فيها على النسخة ومكانها، ثم أخذها خلسة وهرب، وعند عبور النهر غرق الزورق الذي ركبه وما فيه.

بالإضافة إلى وجود نسخ أصلية لدى بعض الأفراد يعترفون بأدائها أحسن من المطبوعة. كما ذكر د. أحمد الشكري قبل ما يزيد على عشرين سنة أن الدكتور محمود عبده زبير المدير السابق لمركز أحمد بابا التتبكتي للوثائق والمخطوطات في تبكتو، أخبره بأن لديه نسخة تختلف عن المطبوعة يعكف هو وأحد فقهاء مالي على تحقيقها، يقول د. الشكري: (عند لقائنا في الرباط 2 أبريل 1990 بالمؤرخ المالي محمود الزبير، مدير معهد أحمد بابا للدراسات والبحوث، تبكتو، عبّرنا له عن هذا الموقف [كون العديد من الروايات التي يطرحها تاريخ "الفتاش" ليست لصاحب التأليف الأصلي]؛

فشاطرنا الرأويكّد لي توفّرُ نسخة أخرى مخطوطة من تاريخ " الفتاش " تختلف عن تلك المنشورة، وأنه يعمل بصحبة أحد فقهاء مالي على تحقيقها<sup>(56)</sup>.

كلّ هذه أمور يجب التنبّه لها بقوّة عند التعامل مع " تاريخ الفتاش "؛ ليكون الاعتماد على ما يؤيد قولين وأدلة أخرى، تاريخيّة، أو اجتماعيّة أو لغويّة، أو غيرها، واستبعاد ما عداها، والابتعاد عن مجرد النقل. ويعكف جماعة من الباحثين الماليين على تحقيقه، منهم زملاء في جامعة باماكو وتبكتو.

**3- لو افترضنا صحة ورود هذه الكلمة على لسان بنت نُي علي بير، فإنّ**

التعليل المقبول أن يكُنَّ قُلُنَّ في استغراب واستنكار: " أسكيا ACICHA أو ASHICHA " !!!؛ استغراباً واستنكاراً لوقوع الانقلاب؛ لأدّه ابن عمّ تهنّ ، وأكبر قوآد والدهنّ ؛ فلقد كان القائد الأعلى لجيش سُنيّ علي بير الذي خُلِع من ابنه، وأعظم قادته ، وموضع ثقته وتقديره<sup>(57)</sup>، ومن أقرب الناس إليه؛ فهو ابن أخته، وابن الأخت في الشعوب الأفريقية ينال عند خاله -إلى الآن- حظوة قد تفوق ما يناله ابن الخال نفسه من أبيه.

أو تكون أولئك البناتُ لمّا قلنّ : محمد بن أبو بكر !!! استغراباً واستنكاراً قال المخوّلهنّ : ACICHA " أو ASHICHA " أي لا ينادى على اسمه؛ خوفاً عليهنّ من مؤيّديه.

ولو أردنا أن نقرأ هذين الموقفين وأمثالهما بعيون عصرنا لوجدنا لهما شواهد كثيرة في الستينيات والسبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين الميلادي بما يتردد على الألسنة عند سماع الانقلابات العسكرية في لحظاتها الأولى، وبخاصة إذا كان قائد الانقلاب إنساناً لا يتوقّع منه ذلك؛ إمّا لكونه مغموراً من خاصّة المنقلب عليه إمّا خوفاً من الإيقبأذى من قِبَل مؤيّديه الذين يغلب عليهم في هذه الحالة النشوة

والتهور، والأمران محتملان جداً فيما نحن بصدد، وليس في أيّ منهما ما يدلّ على المعنى المتداول في أكثر الكتب "المغتصب" فكيف إذا انضمّ إلى ذلك كلّه عدم استعمال الكلمة في لغة سنغاي بهذا المعنى، وأدّه أقدم من الإمبراطور محمد بن ألبي بكر؟!!!!.

أرأيت كيف أنّ تحريف دلالة هذا اللقب -أيضا- أوقع في أخطاء تاريخية جسيمة؟ والأغرب في شغلنا إقصاء تاريخيّ ورد في كتاب مطبوع متداول، ينتقد مؤلّفه المعنى المنتشر، وقد كان من العلماء الملازمين لأسكيا محمد!!!!

أليس في ذلك ما يؤكّد أسباب التصحيف والتحريف التي ذكرناها في المقدّمة؟

#### المطلب الرابع: لِقَبُورِيّ "TOURÉ / TORIE"

وما يثار حوله في العصر الحديث

لعلّ أبرز ما نشتهر في التاريخ بهذا اللقب هو إمبراطور سنغاي الإسلامية أسكيا محمد الكبير، وقد ورد في كتب تاريخيّة قديمة وحديثة تلقيبه بلقب "توريّ" **TOURÉ** "توريّ" حقيقة هذا اللقب؟ والزعم بأنّ ما نحمّله -أو بعضهم- من نسل الجيش المغربي الذي أسقط إمبراطورية سنغاي الإسلامية أو من نسل قادتهم نصارى أو يهود أسبان؟

سبقت الإشارة إلى جزيرة جنوب مدينة غاو عاصمة إمبراطورية سنغاي، شرق جمهورية مالي -حاليا- تستمويّ "و غ ن غ و" **TORO GOUNGO** "أي جزيرة الصنم، وينطق -أيضا- بتؤلّغ نغو" **TORA GOUNGO** .

ثم ظهر بعض الباحثين من الفلّاتة ليقولوا إنّ هذا اللقب نسبة إلى قوتنا تورو "ومرثم فأسكيا محمد فلاتي، وأخذوا هذا الزعم حجّة في استحقاق فلّاتة الماسينة لأوقاف أسكيا محمد في المدينة النبوية على حجاج السودان الغربي التي استولوا عليها وصاروا يقسمون ريعها على أنفسهم فقط (58).

هذه أبرز النقاط التي تتعلق بتحريف دلالة هذا اللقب والأخطاء التاريخية التي نتجت عنه. فإليك البيان وما توفيقني إلا بالله:

لقد تعرّض هذا اللقب للتحريف في النطق والكتابة ثم في الأصل والدلالة، وهو في الواقع توري TORIE " نسبة باللغة العربية إلى جتويوق" و غ د غو TORO GOUNGO " ، والكلمة مركبة من مضاف وُز. و TORO بتاء مضمومة بضمّة قصيرة مشمومة (ممالّة) كحركة " O " اللاتينية، بعدها راء مضمومة بالحركة نفسها، ومضاف إليها ت د غ و GOUNGO بغير مضمومة بضمّة طويلة، ونون، وحين مضمومة بضمّة قصيرة مشمومة (ممالّة). أي جزيرة الصنم، وينطق - أيضا - بـ " TORA GOUNGO " ، وتكتب -تارة- في المصادر والمراجع العربية بالطاء، وهو حرف عربي لا يوجد ما يقابلها في لغة سنغاي، لكن نطق ضمّة التاء بحركة " O " اللاتينية، يجعله أقرب إلى الطاء العربية في النطق، ولعلّ هذا ما لحظه صاحب " تاريخ الفتاش " وغيره عند كتابته، بل إنّه أشار إلى تشكيل قريب مما ذكرناه حين ضبط الضمة بالإشمام أو الإمالة. يكتبه صاحب الفتاش تارة بالطاطور " ، وتارة بالتدور " ، وتدور د و Torodo ، كما سيأتي..

هذه الجزيرة -إذ قديمة جدّا، تُعرف بالتشكيلين السابقين وتقع -الآن- جنوب مدينة غاوعاصمة إمبراطورية سنغاي، شرق جمهورية مالي -حاليا-، لم تكن مسكونة قبل مقتل الحوت الذي كان السنغايون في وثنيّتهم يقرّبون له فيها القرابين قبل الميلاد بعدّة قرون، ثم صارت مسكونة بعد مقتل الحوت واتحاد جماعاتهم الثلاث قبل الميلاد تحت سلطة واحدة، في حين تلمح بعض المعلومات التي تجعل أصلهم من المدينة إلى أنّ أحد أسباط جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه هو الذي قتل الصنم في غاو<sup>(59)</sup>. وفيه (فوجداه في غاوفوجدوا أنّ أهل غاو ليس لهم سلطان إلاّ

**الحوث الكبير**، يخرج لهم في وقت الأضحية ويجلس لهم إلى وقت الزوال<sup>(60)</sup>. وهذا غير صحيح؛ لأنّ مدينة غاونما تأسست عام 690م 71هـ، وقد وصل الإسلام إلى سنغاي بزمن بعيد لا يقلّ عن 45 سنة والفرق كبير جداً بين ألا يكون لهم سلطان بمعنهلك يسوسهم ودولة وبين ألا يكون لهم في الجاهليّة إله يعبدونه إلاّ الحوث؛ فالثاني هو المقصود من نصّ " الفتاش "، وكلاهما -السلطان و عبادة الحوث- كان في كوكبا، وكذلك إسلامها. ولكن بقيت الجزيرة تحمل الاسم نفسه قبل دخول الإسلام إلى سنغاي وبعده منذ النصف الأوّل من القرن الأوّل الهجري وإلى الآن.

في هذه الجزيرة ولد أسكيا محمد مؤسس الإمبراطورية الثانية للسنغاي<sup>(61)</sup>؛ فنسب إليها بتورّي TORIE ". يقول محمود كعت في التعريف به هو: ( أسكيا الحاج محمد بن أبي بلثور د يُّصلا، الكوكبي دارا ومسكنا)<sup>(62)</sup>. ويقول: عن أسكيا محمد (يلقب أبوه بارلوم، قبيلة من السلوى، وقيل إنّ والد أسكيا محمد مطور<sup>(63)</sup>). وعند السعدي (محمد بن أبي بكر الطوري)<sup>(64)</sup>.

ويقول د. طرخان عن أسكيا محمد هو: (محمد بن أبي بكر الطوري...و.. لد بإحدى جزر إنهرالنجر، وهو زنجي من أسرة عريقة)<sup>(65)</sup>. ويقول د. أبو بكر ميغالتور د<sup>(66)</sup> مكان ولادته ونشأته، والكعت في تاريخه ينسب الأعيان من العلماء والملوك دائماً كلاً إلى بلده ومكان ولادته)<sup>(67)</sup>. ولا يزال النسب بهذه الطريقة فأساندا في المنطقة، ويكون في أحيان كثيرة علامة مميزة لمن تتشابه أسماءهم.

**ولنقف مع لفظ "د"** قد يكتب بالبدال كما في هذا النصّ الفتاش السابق، وربما يكون الدال تصحيفاً قبل النسب عن واو المور "ط. أو تو ر و" "الدور و" فنقلوه بالبدال، وبخاصة في الخط السوداني والمغربي اللذين يكتب بهما في المنطقة، أو يكون حسب التحليل الآتي للكلمة المهمّ أنّه قد ترتب على كتابته بالبدال خلط في النسبة<sup>(68)</sup> فقول إن أسكيا محمد من "سيلا" السنوكية، ولا صلة له بلقب "سيلا" التي حكم أهلها منطقة تكرور، كما ذهب بعض المؤرخين<sup>(69)</sup>.

#### ودليل ما ذهبنا إليه من احتمال التصحيف:

أ- أن **طُورُ TORO** اسم رباعي ساكن الوسط معتل الآخر، فيجوز في العربية النسب إليه بإحدى ثلاث صور: **طُورِي وَطُورِي وَطُورِي**، ولا شك في أنّ هذه القاعدة العربية لم تكن غائبة عن المؤرخين السودانيين القدامى عند ما كتبوا هذا التاريخ باللغة العربية، كـ "الفتاش"<sup>(70)</sup> فتكون الياء في **طُورِي** أو **تُورِي** ياء النسبة العربية جاءت - كما رأيت - من نسبة المؤرخين الأوائل لأسكيا إلى جزيرتهم إنّما كتبوا بالعربية لكنّ ديلافوس مترجم "الفتاش" إلى الفرنسية ومحققه أخطأ في كتابته بالفرنسية، وكذلك من اعتمدوا عليه حين نقلوا الضمّة القصيرة المشمومة على التاء "TO" إلى ضمة ممدودة بالواو "TOU"، وحين عدّوا الياء مدّة لكسرة الراء الممالّة "RÉ". وقتبّين أنّ الصواب تشديد الياء وكسره؛ إذ هي ياء النسب.

ب- قد يؤيد القول بتصحيف الواو إلى الدالّ الذي يكثر وروده في المصادر القديمة **طُورُ** "دون واو ولا دال" <sup>(71)</sup>.

ج- ليع افتراض أن الدال أصل وليس تصحيفا من الواو فإنه لا تعارض بين توري TORIE وبين توري بالبدال بعد الراء؛ لأن كليهما نسبة إلى لقطور أو تورم. الأوال فواضح، وقد سبق التفصيل فيهما. الثاني فيحتاج إلى بيان: أن يكون الصواب توري بواو مكسورة بعد الراء المضمومة أو المفتوحة، فنسخت الواو دالا؛ لتقاربهما في الخط السوداني والمغربي. أو يكون نسبة عربية إلى كلسنغية منسوبة، هون "دكا" TORA DOUNCHA "بجيم - في آخرها مشبعة بالشين ومشمومة كما في لفظ "CHAIR" الإنجليزية، وهي مركبة من كلمة تورا TORA ومن "دكا" الذي بمعنى أهل. بمعنى الكلمة السنغية المنسوبة هو معنى توري "نفسه، ومثله النسبة إلى أهل الكتاب تيرا TIRA DOUNCHA " فلما كانت لغة كتابة هؤلاء المؤرخين الأوائل، كعت والسعدي وغيرهما من أبناء المنطقة هي العربية نسبوا بالعربية إلى كلمة منسوبة في لغتها الأصلية، فقالتو لوزر "دي" "بحذف دكا لأن الكلمة - وهي مركبة من كلمتين - طويلة وفي الحذف موافقة لقواعد اللغة العربية التي كتبوا بكلما ينسب إلى الجزء الأول من المركب الإسنادي، وكذلك في "وغنو".

دليل هذا المعنى أن السكان الأوائل لإقليم ووط دي - ببال أو جيم ، نطقان - الذي يقع الآن بين ثلاث دول هي مالي والنيجر وبوركينا فاسو، هم من سنغاي، ويسكنها - حاليا - مجموعة غالبيتها من السنغاي والفلاتة، فدسبوا إلى منطقة أجدادهم تور "وغنو".

ويؤيده -أيضا- أن للنسبة في لغة سنغاي ثلاث طرق، هي: الإضافة غاو بورا GAO BORA "غاي"، نسبة إلى مدينة غاووكلمة دكا DOUNCHA "ملصقة بأخر الكلمة المراد نسبتها، كما تقدم في أهل الكتاب. ودي "بجيم مشبعة وشين مكسورة بكسرة مشمومة (مماله) KÉ " كما في سنغاي، وسوننكي، ويكتب بالكاف أو بجيم مشبعة بشين مكسورة مع الإشمام "CHÉ".



بهذا التحليل نصل إلى أمثوبيزيّ وتُور دِيّ ، نسبة إلى جزيرة " غُنْغُو " بجنوب مدينة غاو مولد أسكيا محمد. ليس في الثاني خلطٌ بينويين الأوّل ولا خطأ في التأويل من زميلته<sup>(72)</sup>.

وأنّ أوائل سكان منطقة تُور دُو في تكورور من سنغاي. وتُور دُو TORODO في لغة سنغاي معنى قد يؤيد ما سبق، وهو: عند الصنم، أي مكان وجوده، وقد علمت علاقة هذه الجزيرة بالصنم؛ فليس تلقّيه تُوريّ - نسبة إلى هذه الجزيرة - خطأ ، كما ذهب ج. كي. زيرووكذلك<sup>(73)</sup> النسبة تُور دِيّ ، كما عرفت. وفي تاريخ الفتاش<sup>(74)</sup> أنّ السيوطي قال لأسكيا محمد قبيلتك منسوبة بطور دُو من أهل اليمن والذي يبدو أنّه إنّما حكى ما وصله عن أسكيا محمد من أخبار بواسطة حجّاج المنطقة أو علمائها وإلاّ لإفأسكيا محمد سوداني صلبا فكيف تكون قبيلته طور دُو من أهل اليمن؟ وأيقع طور دُو في بلاد اليمن؟

إنّ كلمة "اليمن" في كلام السيوطي سببها إنّما هي بضمّ الياء وسكون الميم اليّمْ ن؟ فيكون قد وصف أسكيا وقومه بأنهم من أهل الخير والبركة! ولا السيوطي عرف مقدار ما أنفق هذا الملك وأهدافي طريقه إلى الحجّ ، وقد التقيا؟ وأنت تجد تحريفا لبعض كلمات السيوطي ترتّب عليه القول بأنّ السيوطي زار غرب أفريقيا ولم يكن الأمر كذلك. وقد ناقشت القضية في بحث آخر<sup>(75)</sup>.

ثمّ إنّ كلّ الروايات التي نسبت أصول بعض ملوك سنغاي إنّما قالت بالأصل اليمني في لقب " ZA " دون غيره، وقد تقدّم تفنيده بلالات لغويّة، وتاريخيّة، واجتماعيّة.

وفي نصّ السيوطي هذا أمور غيبية تتعلق بحكماء لمّا تأتت ، وبأحمد لبو في ماسينا وتمجيد الموازنة بينه وبين أسكيا في العلم، الأول متبحر في العلوم، والثاني لا يعلم إلا أحكام الصلاة والزكاة والاعتقادات. وكلّهما مدخولة مدسوسة؛ إذ كيف عرف بها السيوطي على التفصيل الذي وردت فيه؟ أليس هذه من التحريف بالزيادة الذي تعرّض له "تاريخ الفتاش"؟.

وإذا تتبعنا ضبط محمولكعت للكلمات السنغية الواردة في كتابه وفيها حرف مضموم نجد أنه يكثر من نحو "مضمومة ضمة إشمام، و مضمومة إشماما، أو بضمة مشمومة"<sup>(76)</sup>. وتارة "مضمومة مماله، أو بضمة مماله، أو بضمّتين ممالتين، وأحيانا يضبط بالضمة، فقط، أو مضمومة؛ فيكثر أن تكون "o" الفرنسية<sup>(77)</sup>؛ فإشمام الضمة أو إمالتها مطلقا يقرّبها من حرف "اللاتينية"، وإذا جاءت كذلك على الطاء - فيما نحن بصدده- كان أقرب إلى التشكيل الوارد في اسم الجزيرة أفلا يؤيد هذا كلاًه التصحيف والتحريف في كتابته ونطقه؟

راي، وللطوري، والثور دي بالبدال أو بالجيم" نسبة باللغة العربية إلى جزيرة "و غ ن غ و TORO GOUNGO"، والكوكي نسبة إلى دوكيا" العاصمة الأولى لمملكة سنغاي، وتعرف الآن بجزيرة توتيا " في جنوب مدينة غاو بحوالي 115 كيلو. والصحيح في كتابته توري TORIE " كما في تاريخ السعدي وغيره.

يشير عبد الله موسى برزي إلى أمور توصل إليها المؤرخون المعاصرون من أبناء المنطقة، منها أن سكيا محمد الأول المتبر بلقب الطوري أو الثوري، أو توري؛ نسبة إلى بلد قبيلته، أما مسكنه فهو "كو غاو"؛ لأن المصادر التي عنيت بتاريخ

سنغاي لم تختلف في لُكُوَ "كَو" هِي عاصمة إمبراطوريّته، وفيها مارس سلطته كلّها، وبها توفي وقبره موجود فيها حالياً<sup>(78)</sup>.

**ومن أقوى الأدلة على أن هذا اللقب نسبة لأسكيا محمد إلى الجزيرة ما** جاء في "تاريخ السودان"<sup>(79)</sup> عند ذكر إحدى حفيدات أسكيا محمد، حيثُ نسبتُ فيه إلى موطن آبائها بأسلوب الإضافة، أحد أساليب النسبة في لغة سنغاي<sup>(80)</sup>، وذلك الموطن هو هذه الجزيرة. **أما اسم الحفيدة فهو لَاتِ شُورَ "**، ولفظ "فَتِ بفتحـ وكسرة قصيرتين يعني فاطمة، وهو إحدى طرق نطق سنغاي -إلى الآن- بهذا الاسم؛ اختصاراً، وترخيماً، وتمليحاً، كما ينطق عند بعض القبائل الأفريقية بـ"فَاتِ FATI" أي بفتحـ بعدها ألف مدّ. هذه المرأة هي بنت أسكيا محمد الثاني بن أسكيا داود بن أسكيا محمد الكبير. وقد نسبت إلى بلدتها وموطن أجدادها هذه الجزيرة.

يُستعمل هذا اللقب في العصر الحديث عند شعوب سنغاي والسونكي "السرakولي" والماندنغ/البمبار، بضمة طويلة وراء مكسورة بكسرة مشمومة (مماله) هكذا "TOURÉ" وهو في الحقيقة نسبة بالعربية "توري" TORIE " إلى الجزيرة السابقة لكن التحريف جاءه -كما تقدّم- من ديلافوس مترجم "تاريخ الفتاش" إلى الفرنسية ومحققه وممن تأدّر به حين عدّوا الضمة القصيرة والمشمومة "TO" ضمّةً طويلة ممدودة بالواو "TOU"ين عدّوا الياء مدّةً لكسرة الراء المماله "RÉ"واذّما هي ياء النسب العربية المشدّدة وقد نبّهه على هذا بعض المؤرخين مثل د. عمر صالح باه<sup>(81)</sup>، ود. جبريل المهدي ميغا<sup>(82)</sup>.

أفلا يكون من هذا المكان -إذن- هاجرت قبيلة سونكي والماندنغ، وهو المقصود حين يذكر أن الأولى هاجرت فنُورَ "أو طُورُ" ، ومن ثمّ وقع كثير من

المؤرخين في خطأ حيث ظنوا أن أسكيا محمد سوننكي<sup>(83)</sup> انطلقا من شهرته بالنسبة إلى هذه الجزيرة؟ ونبلأء توري في بلاد ماندي من جيوش سنغاي الذين انطلقوا من بلوَي في تنبكتو<sup>(84)</sup>.

ثمّ ألا يكون أصل الملقبين به من القبائل الأخرى إن ما هاجروا من هذه الجزيرة إلى الغرب والجنوب الغربي لمالي ثم الدول الأخرى: السنغال، وبوركينا فاسو، وغينيا كوناكري، وساحل العاج، لكن غلبت عليهم لغة القبيلة التي تسيطر على المنطقة؟ دليل أن الذين في جنبي وفي جمهورية بينين يتكلمون لغة سنغاي المنتشرة فيهما وقد وقفت - قبل عدّة سنوات - على مقولة للرئيس الأسبق لغينيا كوناكري سيكو توري - رحمه الله - يذكر فيها نسبه السنغاي وأن أصلهم من جنبي<sup>(85)</sup>.

إن بعض من يحملون هذا اللقب من أبناء سنغاي يزعمون الانتساب إلى أصول عربية شمال أفريقية، أو يهودية أسبانية من سلالة الجيش المغربي ذي القادة الأسبان والبرتغال الذي أسقط إمبراطورية سنغاي الإسلامية، وهم لا يتكلمون إلا لغة سنغاي؛ الأصل المغربي على أنهم أحفاد قادة الجيش المغربي النصاري أو اليهود، سمّاهم دينز بوليم قرقة من المرتدّين الأسبان "وسمّاهم تيرمنغهام بـ"جيش من الأوربيين بعضهم أسرى وبعضهم مرتزقة"،<sup>(86)</sup> وصل الأمر ببعض من صدّق هذا الأصل - وهم قلة - أن ينتسب إلى القائد جودر باشا وهو الذي ثبت تاريخيا خلصه<sup>(87)</sup> ؟

### أر ما AROUMA

لا شك في أن بقايا الجيش المغربي - ما عدا القادة المخصيين كجودر باشا - قد ولدوا من سودانيات، ومن المشللهم من يقول إنه من أولاد أر ما AROUMA

"ومعناها عندهم لئرمائة<sup>(88)</sup>، يقول د. طرخان: وقد اشتهرت حكومة باشوات تُنبكتُ بعد ذلك - أي سقوط سنغاي باسم حكومة الأرماء AROUMA، من الكلمة العربية الرّماء، وهم رماء البنادق، وباشواتها من سلالة الفاتحين المراكشيين الأوائل ونساء الارستقراطية المحلية في السودان الغربي). ويقول - أيضا - : (وكانت حكومة باشوات تُنبكتُ أسوأ أنواع الحكومات التي شهدها السودان الغربي، فقد بلغ الصراع على السلطة والاحتلال الضارّ، أقصاه، مما أدّى إلى تدهور المدن الزاهرة، وانحطاط التجارة والصناعة، واختلال الأمن، حتى تراوح حكم الواحد منهم ما بين يومٍ وثلاثة أيّام، وشهور، وسنة وسنتين، إلى ست سنين ومئتي الباشوية ست مرّات)<sup>(89)</sup>.

هذا المعنى هو المنتشر، ولقد اضطرب أحد الباحثين في معناه، فتارة يرى المعنى السابق. من ذلك أنه بعد أن سجّل رفضه استعمال كلمة "سنغاي" في معظم الكتابات التاريخية للدلالة على الشعب والإمبراطورية المعرفين، ورأى أن وروده خطأً وغير دقيق، درج عليه الباحثون خلفاً عن سلف، وخطأً وقع فيه الكثير بقصد أو بغير قصد، يقول: (توجد مجموعات أخرى كبيرة ليست سنغاي في الأصل كالرماة - مثلاً - الذين يعرفون اليوم بلأرماء، أو توري "<sup>(90)</sup>).

ويقول - أيضا - : (في المجتمع التنبكتي ظلّ الرجال السودانيون المنتمون إلى القبيلتين السنغاي والرماة هم النخبة الحاكمة في معظم فترات حكم إمبراطوريتي مالي وسنغاي)<sup>(91)</sup>.

وتارة أخرى يحاول أن يفسر هذه الكلمة بالرجوع إلى لغة سنغاي فيقول: ((الأرماء كلمة سنغاي تعني الأخوة، وهم في الواقع شعب مهجّن بين أصلين: أصل سوداني من جانب وهو السنغاي، ومن جانب من نسل العلماء والفقهاء وكبار التجار

المسلمين من الشمال الأفريقي والشرق الإسلامي الذين استوطنوا المنطقة)<sup>(92)</sup>. والكلمة السنغية التي بمعنى الأخ هي "أز" ما "بسكون الهمزة. الأخواة أو منغلهاة" ر ي " . وحتى على تفسيره له بمعنى الأخواة؛ اعتدادا ببعض لهجات سنغاي التي قد تنطق كلمة الأخواة "بظنم" الرءاء "أز" ما "فإنه يرد عليه سؤال مهم، هلونم انفرد هؤلاء - فقط بالأخواة السنغوية دون غيرهم من قبائل سنغاي الأخرى أو المجاورة لهم؟ ذلك ما لا نكاد نجد له مسوغا معقولا!!!!

والباحث السليبي لإضافة إلى عاطفته وبعده عن الموضوعية في تناول قضية تاريخية قد تمسه هو وغيره، فقد خالف المشتهر والمتداول في المنطقة بين بعض مستعملي اللقب أنفسهم أنهم من سلالة الجيش المغربي وباشاواته، إما ما من قاداته الأسباب والبرتغال، النصارى أو اليهود، بمن فيهم جودر باشا!!!! على ما سيأتي. أو بقية الجيش المذكور وباشاواته من أمهات سنغويات.

كما أنه الوحيد الذي وجدته يفسره للأخواة في لغة سنغاي ثم يذهب في الوقت نفسه -إلى أنهم من نسل العلماء والفقهاء وكبار التجار من الشمال الأفريقي والشرق الإسلامي، وأنهم من النخبة الحاكمة في معظم فترات إمبراطوريتي مالي وسنغاي!!!.

فيما يتعلق بمالي أين الماندينغ؟ وفيما يتعلق بسنغاي إن كانوا من نسل أولئك العلماء والفقهاء وكبار التجار العرب فهل يُعقل أن ينسوا جميعا اللغة العربية وقد كانت اللغة الرسمية ولغة التعليم والإدارة، في حين لا يزال بعض القبائل العربية ذات التاريخ الحريق في المنطقة يتحدثون بها إلى الآن حتى مع مصاهرة بعض مجموعاتهم للقبائل السودانية؟ وإذا كانوا من نسل الجيش المغربي الذي أسقط إمبراطورية سنغاي الإسلامية فكيف كانوا في الوقت نفسه من النخبة الحاكمة مع سنغاي والماندينغ في معظم فترات إمبراطوريتي مالي وسنغاي؟

هنيرد سؤال مهمّ هو: ما ذا عن وجود لُحْمُ رُ (جمع أحمر) من السنين المالكيين يحملون هذا اللقب في بعض المدن السودانيّة أثناء زيارة ابن بطوطة، سمّاهم البيضان<sup>(93)</sup>؟

أشار جبريل المهدي ميغا إلى أنّه سأله كثيرا من السونكيين الذين يحملون هذا اللقب عن معناه فأفادوه بأنّهم لا يعرفون معناه ولا هذا المعنى الذي ورد عند ابن بطوطة<sup>(94)</sup>.

ولعلّ أفضل تفسير لتلقب هؤلاء الدُمر بـ"رُ" واحد من ثلاثة إمّا أن يكون من الانتساب بالسكن إلى تلك الجزيرة سابق ذكر هلى أنّهم ممن عاشوا فيها؛ فنسبوا إليها مثل غيرهم من سكانها؛ لكثرة الانتساب إلى المدن والقرى في هذه المنطقة ولو بمجرد السكن؛ فالانتساب بالسكن لا يختص بجنس دون جنس. وكتب التاريخ للمنطقة مليئة بهذا النوع من الانتساب، مقرونا أحيانا كثيرة بنحو "سكنا، أو أصلا، أو أفقا" كالنتبكتاوي، والجدّاوي، والغاوي. إلخ، نسبة إلى نتبكتو، وندّي، وغاو، وغيرها.

أو يكون من الانتساب المذهبي؛ تميّزا لأنفسهم عن المذاهب الأخرى التي يعتنقها جماعتهم من الدُمر (البيض) وبخاصة مذهب الخوارج الإباضية التي كان عليها بعض التجار من شمال أفريقيا ومنهم بعض هذه الجماعة في مدينة زاغري السودانيّة القريبة من مساكن البربر في الصحراء. وذلك واضح في كلام ابن بطوطة، فكيف إذا كان لقباً لقادة من جيش ملّيدافع في مملكته عن المذهب السُنيّ بالقول والعمل، ويسعى لنشره ؟!!!!

أو يكون من الأمرين معا، أي من الانتساب بالسكن وبالمذهب. وهذا أقرب عندي؛ فهو تميّز لهم عن غيرهم من الدُمر (البيض) بالمواطنة والسكن وبالمذهب.

مما يؤيد التفسير السابق - الانتساب بالسكن أو بالمذهب أو بهما معا - أن نأخذ بعين الاعتبار أربعة أمور، أحدهما: تقدّم في مناسبة أو ل تَلَقُّبُ بِهِ نَبِيِّ مَنْ أَنْ سُدُّ نَبِيِّ عَلِي كَوْلِن وَأَخِيهِ أَرَادَا مِنْ اسْتِعْمَالِ هَذَا اللَّقْبِ أَنْ يَرِسَمَا بوضوح وصرامة المنهج المذهبي لإمبراطوريته والموقف من المذاهب المخالفة له فيها، نظريا وتطبيقيا، ليس في عهدهما - فقط وإنما فيه وفيما بعده.

**الأمر الثاني:** التزام أسكيا محمد الكبير بمنهج أهل السنة والجماعة ومحاربتة لما عداه حتى وُصِفَ بِأَنَّ مَسْرُوعِي المذهب، سلفي العقيدة، يهتم كل الاهتمام بإصلاح حال رعيتة، وتقويم السلوك فيها، بما يتلاءم والعقيدة السلفية وسنة النبي صلى الله عليه وسلم التي اختارتها البلاد، ويؤمن هو شخصيا بها، وكان فاهما حقيقة الإسلام<sup>(95)</sup>. ومما وُصِفَ بِهِ أَنَّهُ مُسْلِمٌ مُخْلِصٌ، تَقِيٌّ وَرِعٌ، يستهدي بتعاليم الإسلام في نظام حكمه، أمعن في إحاطة نفسه ببطانة من العلماء يلزمونه، ويستشيرهم في كل الأمور عن رأي القرآن والسنة، وقد أصبحت هذه السياسة الإسلامية سياسة مقررة لخلفائه<sup>(96)</sup>.

**الأمر الثالث:** أنه يرد على غير التفسيرات الثلاثة السابقة أسئلة كثيرة لا جواب عنها - حسبما وقفت عليه - منها: هل كان هذا اللقب معروفا في شمال أفريقيا؟ وهل وُجِدَ قِبَائِلٌ يَتَلَقَّبُونَ بِهِ؟ وأين؟ وما هي لغتهم؟ وأين عائلاتهم؟ ومتى هاجرت؟ ولم حاول هؤلاء تمييز أنفسهم عن غيرهم من بني جنسهم بهذا الانتساب؟

**الأمر الرابع:** تخصيص ابن بطوطة لهؤلاء الدُمر (البيض) بذكر اختلافهم في المذهب العقدي يشير إلى أن السودان كانوا سنن مالكيين، وإلا فلِمَ أغفل بيان مذهبهم العقدي كما فعل في أولئك والإسلام مسيطر على المنطقة زمن زيارته؟!!!



فهل من الخطأ - إذن - زعم بعض المتعلمين لهذا اللقب في مدينة بماكو أن أصلهم من توات، وهي مدينة في الجنوب الجزائري، على أنه تصحيف في النسبة إليها " تواتي " !!!

والأرُّ ما **AROUMA** عند فريق من الباحثين مأخوذ مللرّ ومان، نسبة إلى الروم النصارى، يقول د. عمر عبد الماجد - وهو يتحدث عن سقوط إمبراطورية سنغاي بغزو مغربي عام 1591م- يقول: (ومنذ ذلك التاريخ ظلّ يعيش جنبا إلى جنب مع الصنغاي أحفاد مقاتلي الجيش المغربي المعروفون - الآن - باسم الرُّ وما، ولعلّ التسمية جاءت نسبة لبحر الروم أي البحر الأبيض المتوسط الذي أتوا من عند ساحله؛ ولهذا رأينا أن ندعوهم باسم " الروم " عند ما يأتي ذكرهم لاحقا في هذا الكتاب)<sup>(97)</sup>. وقد سمعت عن مخطوط في مركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية " في شأن دخول جيش الروم في مدينة تنبكت " لمؤلف مجهول، رقمه (977) ورقة 9. والقائلون بهذا انطلقوا من أمرين، هما: المجيء من بحر الروم، أي البحر الأبيض المتوسط، كما سبق عن د. الماجد. وكون معظم قادة الجيش المغربي الذي ينتسب إليه هؤلاء من الأسبان والبرتغال، نصارى كانوا أم غيرهم. الأملأوّل غير يقوي، وإلاّ لكان الجيش المغربي كلّهُ من الروم؛ لأنّ المغرب يطلّ على البحر الأبيض المتوسط وعلى المحيط الأطلسي وقد كانت السيطرة عليهما في ذلك العهد للروم الأسبان والبرتغال، ولكون معظم قادة جيشه من هؤلاء.

وذهب سالم ولد الحاج، من مدينة تنبكتو في برنامج إذاعي عام 2002م إلى أنّ كملأرُّ ما **AROUMA** مأخوذة من لغة سنغاي، مركّبة من كلمتين: أرو **Arou** أي رجل، ومال **Ma** أي شبيه، ومعناها " أنصاف رجال أو أشباه رجال " قصد دمهّن يحمل وصف الرجل وليس أهلا له؛ لافتقاده إلى صفات الرجل الكامل. ومناسبة استعماله - في رأي سالم - ملك سنغاي أرسل مخابرا إلى الجيش المغربي ليتأكد ما إذا كانوا

رجالاً أرو أرو أرو أم أرو ما أرو، أي رجالاً كاملي العدّة والإعداد أم هم أشباه أو أنصاف رجال يحملون هذا الوصف وليسوا أهلاً له، فعاد إلى الملك وقالوا وجدتهم أرو ما يذو و Arou ma yan no<sup>(98)</sup>، وذلك على سبيل الاستهزاء والسخرية بهم.

ومن المستبعد تصديق هذه القصة وتعليقها؛ إذ يرد عليها هل كان ذلك الأسكيا هو والي تنبكتو أو أسكيا إسحاق في غاو؟ ومنى وأين قيل؟ أقبل الوصول إلى تنبكتو أم بعد سلايطرة عليها والاتجاه إلى العاصمة غاو؟ وأياً كان فالأمر بعيد؛ لأن أخبار الجيش المغربي قد ترمى إلى سنغاي، وتأكّد بالاستيلاء على تنبكتو أو لا وعندئذ فإمّا أن المخابر لم يصدّق أسكيا فيما أخبره به أو إنّ ما بنى حكمه على رؤية طليعة الجيش فقط، أو يكون الأسكيا ممن لا علم له بالحرب!!!!.

أمّا زعم الأصل الأسباني اليهودي فلقد ظهر إسماعيل جاجي حيدره وأمثاله ليزعموا بأنّه هو ومن يلقّب بلقبى "حيدره" و"توفهي" شرق وشمال مالي دون من في جنوبه وغربه، أوفي ويل غرب أفريقيا الأخرى، هم من سلالة يهود نصارى استعبدوا في القصر الملكي المغربي بعد أسرهم في معركة الملوك الثلاث، ورماهم بأنهم تخفّوا وراء هذا اللقب وأنّ أحفادهم وأحفاد جالية يهودية من الأندلس وصلت تنبكتو في القرن العاشر الميلادي لم يزلوا - رغم إسلامهم - يلتزمون التقاليد اليهودية كتعميد أبنائهم على الطريقة اليهودية والطواف بنجمة داود، وأنهم كالفلاشا والفلاشيمر بأثيوبيا. كما صبّ جام غضبه وحفده على أسكيا محمد متهما له بالتطرف والتسبب في دفع أجداده هؤلاء اليهود إلى اعتناق الإسلام وزعم أنّ أبرز علماء المسلمين وفقهاءهم أيّام ازدهار الحضارة الإسلاميّة في المنطقة كانوا يهودا يتظاهرون بالإسلام، وجعل منهم صاحب تاريخ الفتاش: محمود كعت.

كوّن جاجي ومجموعته جمعيّة باسم "زاخور" في 25 يوليو 1995م بمدينة تنبكتو، هدفهم الأساس اعتراف إسرائيل ومالي بيهوديتهم ومساعدتهم في تعلّم العبرية

لغتهم الأمّ . وهلل الغرب لدعاويه الحضاريّة والتاريخية، وقد أُجريت معه مقابلات صحفية إذاعية، ثم عكف في أسبانيا على البحث في الموضوع ونشر عنه كتباً ومقالات بالأسبانية<sup>(99)</sup>. وهو - الآن - صاحب مكتبة للمخطوطات في تنبكتو تحمل اسم العالم والمؤخّ السنغيّ الكبير صاحب " تاريخ الفتاش "مكتبة محمود كعت، سمّاه " فودو كعت".

وقد زعم الشيء نفسه في لقب " حيدرومعلوم أنّ هذا اللقب إنّما يستعمله في أفريقيا من ينتسبون إلى آل البيت، فكيف يكون من اليهود ومن آل البيت في آن واحد؟! والسبب في استعمالهما عندئذ - كما يقول إسماعيل حيدر- هو التمويه والتخفيّ. ومن الأمور التي لا يمكن إغفالها أثر النصارى واليهود في إسقاط إمبراطورية سغانيقما من أسكيا محمد في موقفه الأوّل لي مع عبد الكريم المغيلي لمّا قتلت يهود توات ابنه.

واذ لا يمكن إنكار وصول جالية يهوديّة من توات أو من جنوب المغرب وغيرهما إلى المنطقة أيّام ازدهارها الحضاري والتجاري فإنّه من البعيد جدّاً الزعم أنّ أبرز علماء المسلمين وفقههم كانوا يهودا يتظاهرون بالإسلام؛ إذ لم يكن عليهم أيّ ضغوط للدخول في الإسلام بدليل موقف أسكيا محمد وانصافه لليهود حين أراد المغيلي منه قتل اليهود في إمبراطوريته انتقاماً لولده الذي قتله يهود توات؛ فلم يستجب له؛ لأنّه لا تزر وزارة وزر أخرى، وبذلك -أيضاً- أفتاه العلماء. والقضية مشهورة في كتب التاريخ للمنطقة وعليك بما تقدّم من صفات هذا الإمبراطور الإسلامي.

ولا تبعد هذه الدعوى - من ناحية - أن تكون من الدعوات المعاصرة التي يسعى أصحابها إلى أن يجدوا لهم بكلّ وسيلة موطئ قدم في تاريخ المنطقة وحضارتها، وبخاصة في المراكز التي قادت الحركة العلميّة والثقافيّة والحضاريّة والدينيّة، كتنبكتو، وغاو، وجنّي؛ فقد ذكرت في بحث سابق أنّّه ما كان من الأليكيين لمّا لم يعرفوا المكان

الذي نزل فيه أوّل أمريكي زار تنبكتو عام 1905م ما كان منهم إلا أن وضعوا لافتة على أحد الأماكن البارزة والمهمّة في هذه المدينة، كتبوا عليها (مرّ أوّل أمريكي دخل تنبكتو عام 1905م)، وكان قد دخلها آتيا من الجزائر. أرأيت كيف مجرّد المرور مدعاة إلى الاهتمام والفخر ونوع من إرضاء الغرور؟ ذلك لأدّهم وجدوا فيها بيتا كتب عليه (سكن أوّل بريطاني وصل إلى تنبكتو عام 1826م 1242هـ)، وبيتا آخر كتب عليه (كان يسكن أوّل فرنسي وصل إلى تنبكتو عام 1828م 1244هـ) (100)!!! والآثار الأسبانية واليهودية وللملّا يدريك من أصحاب الآثار والأثقال القادمة من دول أوروبية أخرى أو من غيرها؟!!

فكلّ هذه - كما يبدو لمقدّمات أو لية إلى ثانية هي الأثر الغربي حتى في الحضارات والإمبراطوريات الأفريقية المزدهرة التي قامت في عصور أوروبا الوسطى. حيث لم يجدوا مناصا من التسليم بخطأ نظريتهم الاستعمارية التي أخذوا يبدونها سنين عديدة، ويسوغون بها احتلالهم البشري لأفريقياهم إن ما أرادوا إدخال الحضارة إلى أفريقياهم ما النتيجة أو الهدف الأبعد لهاتين المقدمتين فهي: للأوروبيين اليد الطولى في نقل الأفارقة إلى الحضارة قديما؛ بالآثار المزعومة في تلك المبراطوريات وأهم مراكزها، وحديثا بأهدافهم ومسوغاتهم للاستعمار!!!!.

ومهما يكن من دعوى الأصل اليهودي، والتناقض في تحديد زمن الوصول، وفي مرجع أصولهم هل هي جالية جاءت من الأندلس أو قادة الجيش المغربي من أصل أسباني وبرتغالي، ترد على هذه الدعوى أسئلة تحتاج إلى جواب، منها: هل من علاقة بين لقب توري TORIE أو توري TOURE من يزعّم لهم ذلك الأصل؟ هل كان هذا اللقب معروفا في المغرب فني أسبانيا والبرتغال؟ وهل وجد فيهما أو في أحدهما قبائل يتلقّبون به؟ وأين؟ وما لغتهم فيها؟ وأين عائلاتهم؟ ومتى

هاجرت إلى المنطوق كيف تحوّلت عنها ولا يزال الحسدّانيون وأصلهم من المغرب يحتفظون بلهجتهم العربية رغم مصاهرة بعضهم للسودانيين ؟  
ثم لم التفريق - كما ذهب إسماعيل جاجيبيخ من أن يحمله في شمال مالي ويشترقه من يحمله في غربه وجنوبه، وهو مستعمل من قبل سكان أصليين ليس فيها فقط بل في معظم دول غرب أفريقيا الحالية وقد شملتها إمبراطورية سنغاي في عهد الأساكي من المحيط غربا حتى بحيرة تشاد شرقا ؟ !!!  
وهل السبب هلوظن بأن استعمال هذا اللقب - أحيانا كثيرة- ليس على أساس انتماء جنسي أو قومي؛ بدليل توزّعه بين عدّة قبائل كلقب سيسي وحيدره... إلخ أو لتحقيق أهداف أخرى ؟

وإذ لا جواب عن هذه الأسئلة - حسبما وقفت عليه فلم التمويه والتخفي - كما يقول جاجيويراء هذا اللقب من قبل الطائفتين؟<sup>(101)</sup> أو لا يكون هذا التخفي استمدادا واستمرارا لانتحال معظم قيادات الجيش المغربي - وهم في الحقيقة قساوسة ويهود أسبان وبرتغاليين إسلامية؛ تضليلا للرأي العام الإسلامي ، وتلبيسا على الشعب المغربي وعلى الشعوب السودانية المسلمة؛ بانتحال لقب أحد أعظم الملوك المسلمين في تاريخ غرب أفريقيا؟<sup>(102)</sup>.

وللنصارى والاستعمار الفرنسي شواهد لهذا فهو وسيلة من وسائل البروتستانت للتمويه؛ إذ يبقون على الأسماء الإسلامية لمن تنصّر من المسلمين<sup>(103)</sup>. وكذلك الشأن في انتحال ألقاب أخرى كـ"حيدره"، يقول شيرنو هادي تيام: ( يوجد في سيغو أسرة حيدرية تنصّرت وهم موجودون -حتى الآن في الحي النصراني في سيغو، ومعروف نا أن كلّهم من يدعي الحيدرية فهم بالضرورة من نسل علي كرم الله وجهه وفاطمة

الزهراء بنت محمد صلى الله عليه وسلم. ويقيني بأنّ ادّعاء هذه الأسرة للتي تدّعي النسبة إلى بني هاشم - ما هو لاً وسيلة من وسائلهم التضليلية<sup>(104)</sup>.

ويشير إلى أنّ الاستعمار الفرنسي قبل غزو جنوب الصحراء أرسل رواداً ومتخصصين في علم الاجتماع لدراسة شعوبها؛ فاكتشفوا تعلّقهم بالرسول صلى الله عليه وسلم وآل بيته، ومحبّتهم وتيلهم لهم؛ فتوصل هؤلاء الرواد ( إلى حيلة هي خلق أسرة حيدرية منتمية إلى النصرانية في مجتمعنا... ما أكثر الحيادة في مالي!!! فعادة بعض القبائل أنّهم وُلدَ عندهم يوم الجمعة فهو يحمل كنية حيدره، وهكذا يصبح ذرياته حيادة، من يدرى إذا كانت هذه الأسر التحليلية المتصرفة من هذا القبيل؟<sup>(105)</sup>.

لقد أغرى القائلين بالأصل المغربي العربي أو اليهودي ما يذهب إليه بعض المؤرّخين من أنّ أسكيا محمد من مدينة سالا، المغربية، المطلّة على المحيط الأطلسي. وهو مردود جدّة أمور:

1. ذكر محمّد أنّ سُلّي خرج في إثر موش كُي ، أي ملك موشي بلغة سنغاي، فوصل إليه ويُنزل، شدّ يلكي أي ملك سالي، ثم واصل إلى كنتغ ثم إلى سام ، وأسر أهل موش يكي وأخضاله، فلم علم الأخير بما صار طارد سذي لكنّه ما إن رأى جيشه حتى خاف فكرّ راجعاً<sup>(106)</sup> وكلمة موش ي اسمغالبية سكا أن جمهورية بوركينا فاسو، حاليوتندتون لغة مورّي More. فسلى بكسر السين مدينة سواندية، قريبة من مدينة غاوريم ما غربها ناحية حدود بوركينا فاسولها ملك، وليست سالا المغربية، كما سيأتي.

2. وجود مجموعة سنغية جنوب مدينة غاو في جزيرة غابيرو، بدائرة غابيرو Gabéro جنوب غاو، لا يزالون يُعرفون - إلى الآن - بـ "نلكي أهل سِلي"؛ نسبة إلى سِلي.
3. يقول جوزيف كي زيريو إن أسكيا محمذن (قبيلة سِلي التكرورية)، واسمه محمد توروه (و) ذهب إلى تخطئة مَن أطلق عليه لقب "توري Touré"، يقول: (ويطلق - أحياناً - على محمد سيللاً اسم توري Touré ؛ بسبب خطأ في الترجمة عن التواريخ ارتكبه ديلافوس)<sup>(107)</sup>.
4. أن مدينة سِلي هذه قد تكون هي المقصودة في "الروض المعطار"؛ إذ تحدث صاحبه عن مدينتي (سِلي وسِلاف) وصف سِلي بأن بها مجتمع السودان، وتقع على الضفة اليسرى للنهر، و تابعة لسلطان التكرور، ومتاجرها صالحة، وأهلها أهل بأس وعدة، يقول: (ولا أدري هل سِلاف هذه [أي المغربية] هي التي ذكر أذها على ضفة النيل [نهر السنغال أو النيجر] وشماله، ببلاد السودان أو هي غيرها؟ فقالوا لي التي بضفة النيل مدينة حاضرة، بها مجتمع السودان، ومتاجرها صالحة، وأهلها أهل بأس وعدة، وهي من عمالة التكرور)<sup>(108)</sup>.
- ويقول عن تكرور: (مدينة في بلاد السودان بقرب مدينة صنغانة على النيل [النهر]، وهي أكبر من مدينة سِلي، وأكثر تجارة طعام أهل سِلي وتكرور السمك، والذرة، والألبان.. ومن مدينة سِلي وتكرور إلى سِلماسة أربعون يوماً بسير القوافل. وأقرب البلاد إليها من بلاد لمتونة الصحراء أرقى، وبينهما خمس وعشرون مرحلة)<sup>(109)</sup>.
- فإذا أخذنا بهذه الرواية وما فيها من تحديد، لا يُعقل - كما يقول نعيّس - أن لا يُفرّق الحميري - وهو ابن سبته في شمال المغرب بين سِلاف المدينة الواقعة إلى

جانب الرباط في الدولة المرينية وسدلى المدينة الواقعة في بلاد السودان حتى يقول: (ولا أدري هل هذه سلا التي ذكرناؤها على ضفة النيل...؟)<sup>(110)</sup> بل كيف يدعقل ذلك وقد كان يتحدث عن رسائل كتب بها أبو العباس بن أمية وهو في سبته إلى الفقيه أبي المطرف ابن عميرة في سلا، نقل منها بيتين لكل واحد منهما يذكر الآخر ومسكنه؟  
قال أبو العباس:

حلوا سلا فسلي فؤادي هل سلا النفس أنزع والصبابة أطوع  
بعدوا فهل لهم اضطلاع بالذي حملته من كلف الغرام الأضلع  
ورد ابن عميرة:

قد كان صفو العيش بدنو لو دنا ثاو بسبته من مقيم في سلا  
من بعدهم لم أرضا طسجسجا كلاً ولا استعذبت ماء سد لسلا<sup>(111)</sup>  
ثم كيف يدعقل وسدلى السودانية بعيدة عن بلاد البربر بينها وبين أقرب بلادهم  
خمس وعشرون مرحلة، كما سبق؟ وتكرور - سواء قصد به الإقليم أم المدينة - لم تكن  
في يوم مغربية وإنما كان يقصدها أهل المغرب الأقصى للتجارة<sup>(112)</sup>.  
ثم إن لي وتكرور كانتا من إمبراطورية سنغاي منذ أيام سد نبي علي بير. وفي  
"تاريخ الفتللك" بركي منسا كور، هو الوحيد من سلاطين التكرور وسنغاي  
الذي أيد أسكيا محمد في انقلابه على سد نبي أبو بكر بار في الحرب التي دارت بينهما  
يوم الاثنين 24 جمادى الآخرة عام 899هـ 492 بعد أربعة أشهر من ولاية بار<sup>(113)</sup>.



ولمّا ادّعى ملكٌ "تَفَوْتَايُصُ" الدُّبَّوَّةَ في عام 918هـ 1512م، غزاه عمر كمزاغ حاكم تندرم وأخو أسكيا محمد الكبير في جيش عظيم قطع به مفازة واسعة؛ إذ بين تندرم وفوتا - كما يقول كعت - مسافة سير نيف وشهرين في البعد، فقتله<sup>(114)</sup>. وإذا انضمَّ إلى هذه كلّها الأسئلة السابقة التليمة تجد جوابا، انتقض عرى القول بالأصل المغربي لأسكيا محمد وكثير من حاملي لقب ثوري".

ويُفَضَّلُ كثيرا مَنْ يُحْمَلُ لقب ثوري حديثا من غير قصد إلى التخفّي هم - والله أعلم - سنغي كما كانوا قديما بهم أ:

1) أنّهم سنغي انتسابا من جهة الأم واللغة على التسليم بأحد الأصلين البعيدين الأسباني أو المغربي؛ إذ ليس لهم لغة ولا ثقافة إلا السنغية، ومن هنا يتمزح أكثرهم مع غير الرسول صلى الله عليه وسلم عربي بل هو أفضل العرب وجدّه إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وليسا عربا.

ومن غير المعقول ما ذهب إليه أحدهم في التعليل لتلقّب هؤلاء بهذا اللقب حيث قال: هذا اللقب سنغي، يحمله حَقِيقٌ - أمّه سنغية؛ إذ يرد على هذا التعليل ما يأتي بالاعتقاد في هذا التعليل؟ وأين مَنْ نَ أُمَّه سنغية ذات لقب آخر من ألقاب سنغاي هل يحمل ابنها -أيضاً هذا اللقب؟ ولم استعمال لقب الأم وهو عادة غير معروفة في المجتمع السنغي رغم المنزلة العالية لابن الأخت لدى أخواله في هذا المجتمع الذي يحافظ أغلب أفرادها على سلسلة آباءه؟.

2) أنّ نسباً مع التحوّل اللغوي كحامله من الماندينغ والبمبار، والسوننكي، ربما بسبب طول سكن الأجداد، وتداول نشأة الأحفاد بين هذه القبائل في مناطق نفوذ هولي في أفريقيا نماذج، بل في غينيا قبائل سنغايّة تحوّلت لغويا واجتماعيا إلى ماندينغ يعرفون بـ "نغاي - ماندي"<sup>(115)</sup>.

و(3) أما وأمة ولغة - وهو الأقرب عندي-؛ فاستعملوا لقباً من ألقابهم وعندئذ لا علاقة لهم أو لا علاقة لأغلبهم بالأصل غير السنغي؛ بدليل أنك قد تجد بعضهم في بعض مدن وقرى شمال مالي وشرقه يحملون هذا اللقب وأبناء عمومتهم صلماً، القريين جدّاً، يحملون في مدن وقرى أخرى ألقاباً سنغية كـ"ميغا أو فلاتية كـ"جالو، وديكو" ونحوها، أو ألقاباً مشتركة بين عدة قبائل كـ"سيسي، وحيدره"... إلخ فالحقيقة أن هذا اللقب سنغي قديماً وحديثاً.

وبما أن الإنسان مؤتمن على نسبه، وله ما يدعي ما لم يتطرق إليه البطلان كأن يدل دليل على الادعاء والتزوير، أو لانتحال والتخفي، وغيرها؛ فعمل التفسير الأقرب لهذا الاستعمال المختلف هو النفوذ القبلي في المدينة أو القرية، أو استعمال لقب الأمهات لأبناء أب واحد من أمهات مختلفات، أو الجهل بحقيقة اللقب البعيد؛ للاندماج بالزواج بين بعض الأسر، وبخاصة أن استعمال الألقاب في الأوراق الرسمية قريب العهد بين السنغيين بل بين سكان شرق مالي وشماله؛ إذ الأغلب ذكر أسماء الآباء والأجداد.

يشهد للترجيح السابق ما يأتي:

- قد تجد من المحدثين أبناء رجل واحد وهم يحملون لقبين مختلفين كـ"ميغا" و"جالو" و"سيهلي" ما لاختلاف الأم أو للجهل باللقب الحقيقي؛ بسبب كثرة استعمال أحد الألقاب في القرية التي يعيش فيها، أو اللامبالاة، أو القصد إلى التخفي بسبب الانتقال للعيش في وسط يجهل نسبه البعيد... إلخ.

- في أواخر القرن العشرين الميلادي حجّ أمير إحدى قرى شمال مدينة غاو ممن يحملون لقب توري ويزعم الأصل المغربي، واسمه (أ. ع)، التقى في الحرم الشريف بمكة المكرمة أحد طلبة العلم من إحدى قرى جنوب مدينة غاو ممن يكثر فيهم حاملوا لقب "جالو، وسيسي، واسمه (ع، ي)، وبعد التعارف دار بينهم الحوار الذي حكاه الثاني، قال الأمير: لي أبناء عمومة في قريتك. من هم؟ فلان وفلان. هم

أبناء عمومتك من أيّ جهة؟ صلباً، أبا عن أبكيف وهؤلاء فلاتة وأنت أُرُ وما؟ فجاء  
جواب الأمل الحقيقية أنّا جميعا سنُغَي!!!

نأتي الآن إلى زعمان أسكيا محمد فلاتي بسبب هذا اللقب، على أنه نسبة إلى "فوتا تور". و Fota Toro ، ونسأل السؤال الآتي: هل توجد علاقة بين "تورو" السابق وبين الإقليم المعروف بـ "فوتا تور" و "؟

لعلّ ممّا أغرى القائلين بأنّ بعض المؤرخين، كجوزيف كي زيرو، قال إنّ أسكيا ممخّقبيلة سيلاّ التكرورية، واسمه محمد تورود و)، وخطأً أن أطلق عليه لقب "توري Touré" ، يقول: (ويطلق -أحياناً- على محمد سيللاً اسم توري Touré ؛ بسبب خطأ في الترجمة عن التواريخ ارتكبه ديلافوس)<sup>(116)</sup>. ليس هذا الإطلاق بخطأ وفق الضبط الذي تقدّم قبل التحريف أي أنه نسبة توري Torie إلى الجزيرة التي ولد فيها "و غنغو و TORO GOUNGO"؛ لتلّوّه؛ ولأنّ ممن ذكره محمود كعت، وهو عالم ملازم لأسكيا محمد، والسعدي. وكثير غيرهما، قديماً وحديثاً.

وتقدّم أنّ قوماً كانت من إمبراطورية سنغاي ملّيدّام سُنّي علي بير. وأنّ ه برهلي منسا دور هو الوحيد من سلاطين التكرور وسنغاي الذي أيّد أسكيا محمد في انقلابه على سُنّي أبهكر بار في الحرب التي دارت بينهما. لأنّ ملكهما ادّعى النبوة غزاه عمر كمزاع أخو أسكيا محمد وحاكم تيمّ م عام 918هـ 1512م وتمكّن من قتل ملكه، وغنم الأموال الكثيرة. ولم يرد عنهم - حسبما وقفت عليه - إشارة إلى علاقة أسكيا وأخيه بـ "فوتا" نسبياً ويستبعد في مثل هذا السياق التاريخي، وفي سياق الأحداث أن لا ترد إشارة إلى العلاقة لو كانت موجودة!!!

لكنّ الذي يترجح لديّ - بعد تحليل دلّولة "و غنغو و Toro Goungo" السابق، وما ورد هنا، وما سيأتي بيانه - هو أن يكون السكان الأوائل لفوتا تورو Fota Toro الغالبية الفلانية والسوننكية -حالياً- هم ممن هاجروا من جزيرة تورو و غنغو و Toro Goungo جنوب مدينة غاو، التي نسب إليها أسكيا محمد بـ

تُورِيّ Torie انضم إليهم الفلانيون الذين تمّت لهم السيطرة على الإقليم بعدُ ،  
ومن الأدلة التي رجحت ذلك عندي :

**كلمة "تُورو Toro"** بتشكيلها ومدلولها السابقين تُستعمل في لغة الفلاتة للصنم، يقول دجمر صالح باه في ردّه على من رُئّعها كلمة عربية من الفَوْت :  
تُورُورُ وكلمة أعجمية خالصة؛ لأنّ تُمُورُ دُ بالواو مدّاً غير صحيح فلانيا، ولكي يأتي صحيحا يجب أن يقرأ الواو هناك أو يعتبر بمثابة "o اللاتينية"، والراء - أيضا - في تُورُورُ شوائه مثل التاء تماما، حيث إنّ مدّه بالواو غير قياسي، فعند ما يمدّ بحرف "o" اللاتيني فإنّ نطقه يأتي صحيحا بالسليقة فلانيا، وأمّ تُورُورُ والفلاني الذي يعطي معنى الصنم فهو - أيضا ليس بصحيح الحركة بالاطراد، فضمّ أوّ له تقريبي شبيه بالإشمام، ولا يمدّ بالواو العربي إذا أُريد أن تكون القراءة صحيحة بل بـ "o" اللاتيني... لو كان [ معنى [فوتُورُ و Fota Toro ترك الصنم على أنّ فوتا من الفوت العربية] لقل إنّ المبرر جدير بالاستماع إليهم أنّ هذه الصيغة الهجينة فإنّ تركيبها لا يدل على بصيرة نافذة في صناعة الإنشاء بلغة العرب؛ لأنّ أجزاء الجملة متنافرة جيئت<sup>(117)</sup> من موادّ وأجسام ليست من فصيلة واحدة، بل هي واضحة التنافر<sup>(118)</sup>.

وقد جاء تحليله السابق في ردّه على أحد الفلاته الذي ذهب إلى تفسير "فوتتا تُورُورُ" بعبادة الأصنام إلى عبادة الرحمن، وأنّ أصله فَوْتُ تُوورُ Fawtou Toro ولمّا ردّ به عليه قوله: ملن الواضح أنّ هذا الاجتهاد لا يقلّ سوءا عن سابقه<sup>(119)</sup> ، فالفوت لا يأتي بمعنى الترك، فات الأمر بمعنى مضى وانقطع زمنه، فتُورُورُ وكلمة أعجمية خالصة<sup>(120)</sup>.

ومن أدلته أن يكون التركيب الإضافي للكلمتين مستحدثا والأصل عطف إحداهما على الآخر ، يقول وُأبَّما التركيب الإضافي الجاري في الألسن -حاليا- أي فوتا طُورُ وُ، فالظاهر أنَّه كان يطلق عليهما أوَّلا باسمفُوتَّا وطُورُ وُ و FOTA ET TORO "ومع الز من سقط حرف العطف وما بلث أن اعتبرا وكأَنَّهما اسم واحد)<sup>(121)</sup>، ويؤيده ندرة استعمال الكلمتين بالتركيبتين السابقين في المصادر القديمة بخلاف التركيب في السنغاليين" و غُنغُو و Toro Goungo" الذي لا يزال كما هو .  
 مما يؤيد ما ذهبنا إليه من أنَّ السكان الأوائل لـ"فوتُولورُ و Fota Toro" هاجروا من الجزيرة الواقعة - إلى الآن - جنوب مدينة غاو:

□ أنَّ استعمال كلمة "فوتَّا FOTA" استعمال متأخر جدًّا؛ إذ لم يكن معروفا قبل العقد الرابع من القرن السادس عشر الميلادي. استعملت تارة بالتاء "فوتَّا" وتارة بالطاء "فوطَّ".

تأنَّ أوَّلا من أطلق اسم "فوتَّا" على منطقة حوض نهر السنغال هو: كولي دِيزيانكوبي، من أسرة "BA الفلاتية"؛ تخليداً لذكرى زوجته، وكان زعيم الأسرة الفلاتية السادسة التي حكمت منطقة فُوتَّا وطُورُ وُ Fota Toro "بين عامي 1537-176م، كما حكم أوَّلا أسرة فلانية للحوض المذكور فقد كان بين عامي 850-1000م<sup>(122)</sup>، يقول د.باه: ( فكولي هذا- على ما ذهب إليه معظم الثقات من المؤرِّخين والأمناء من الرواة-هو الذي أطلق اسم فوتَّا، وإن كان معروفاً في مكان ما في القارَّة الأفريقية إلاَّ أنَّه لم يكن معروفاً في فُوتَّا وطُورُ وُ قبل مجيء كولي...ويقولون إنَّ كولي أطلق اسم فوتَّا على هذه المنطقة

المعروفة عند ما أصبحت في حوزته؛ تعظيما لزوجته التي كانت تسمى فوتا؛  
تخليدا لذكراها)<sup>(123)</sup>.

□ عُرِفَت المنطقة قبل هذين التاريخين بتكرور، وهو الوارد في كلِّ المصادر  
القديمة قبل القرن السادس عشر الميلادي ويطلق -أيضا- على شعب،  
(والتكرور جنس هجين من الفولاني والماندي، ويطلقون على أنفسهم اسم  
هالبولارن Halpularen ، أي أولئك الذين يتحدثون اللغة الفلانية)<sup>(124)</sup>.  
□ النسب إلى "فوتا تورا" فوتي ، كما في الشيخ عمر الفوتي<sup>(125)</sup>، وليس توري  
Torie كما في النسب إلى تورو غنغو .

إذا كنزورُ و Toro بمعنى الصنم ، ولم يكن " فوظُورُ و Fota Toro "  
معروفا إلا في العقد الرابع من القرن السادس عشر الميلادي، وكان "فوتا FOTA "  
اسم امرأة أراد زوجها تخليد ذكراها فأضاف إليها إقليما سيطر عليه واذا كان لفظ "  
طُورُ و Toro " في لغة سنغاي بمعنى الصنم وأضيف إليه جزيرة في جنوب غاو قبل  
الميلاد، وجاء النسب إليها لا إلى "فوتا" واذا كانت كلمة سوننكي تعني أهل سوني  
وأهل سنغاي، وهم المتجاورون مع الفلاتة في فوتا تورو.

أفلا يدل ذلك كله على صحة القول بأن السكان الأوائل لـ " فوظُورُ و Fota  
Toro " من سونغاي هاجروا من جزيرة طُورُ غنغو Toro Goungo " التي ولد  
فيها أسكيا محمد ونُسب إليها اسمُ وَا منطقتهم الجديدة باسم موطنهم الأصلي. وكان  
الإقليم جزءا من إمبراطورية سنغاي منذ أيام سُنِّي علي بيرومن المعلوم أن النزوحات  
القديمة في غرب أفريقيا تمت من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب. ومن  
المعوم كذلك أن سكلينغاي الأوائل لظُورُ و غنغو Toro Goungo هم جماعة

السُرْكا، SORKA/SORKO أي صيد أدوا السمك، ولا يزال بعضهم يعرفون بهذه التسمية فقدّم لك أنّ هذه إحدى ثلاث جماعات تكوّن أصول شعب سنغاي تُسَدُّ ب كل مجموعة إلى حرفتها التي اشتهرت بها.

واقليم فُوتَا طُورُ يُكوّن مع فُوتَا جَالُو، المناطق المجاورة لمنبع الأنهار الثلاثة: نهر النيجر، ونهر السنغال، ونهر غامبيل المنطقي أنّ يكون سكا أنه الأوائل من صيادي السمك أو الفلاحين، وصيادو السمك بسبب حرفتهم يغلب عليهم السحر قبل الإسلام وإلى الآن في بعض مناطق غرب أفريقيا، كما يغلب عليهم التنقل عبر الأنهار مسافات بعيدة حسب توفّر الصيد.

في حين أنّ الفلاته إذ ما عرّفوا -غالبا- برعي المواشي والتنقل بها حول المراعي، وعدم الاستقرار، وقد وصلت هجراتهم إلى تنبكتو وماسنه في مالي حاليا - في القرن التاسع الميلادي<sup>(126)</sup> استقرّ الحضر منهم في أحواض نهر السنغال، والنيجر، وغامبيا، مجاورين لقبائل الولوف، والسّرير، والماندنغ، والسنغاي، والسوننكي وغيرهم<sup>(127)</sup> ولقد كان الحضر منهم يتعرّضون دوما لهجمات الرعاة الرحّل الذين لا يعترفون لاقيتهم وينظرون إليهم نظرة دونية تؤلمهم لسيطر هؤلاء للحضر أسسوا أوّل مملكة لهم في ماسينه أوائل القرن الخامس عشر الميلادي، وتوزّع أغلبهم فيما بعد في فوتا بقسميه.

يقول أحد الباحثين: (على امتداد تاريخ السودان فإنّ الفولاني لم يظهر في يوم من الأيام سياسة لعبت دورا في تغيير مسار التاريخ إلّا في أخريات القرن الثامن عشر الميلادي حينما قاموا بالثورة الإسلامية في فوتا جالون معلنين الجهاد على أسرة ديالونكي الوثنية الحاكمة التي أقاموا بعد سقوطها دولة إمامة فوتا جالون



الإسلامية<sup>(128)</sup> ثم إمبراطورية الفولانيين في شمال نيجيريا على يد الشيخ عثمان بن فوديو في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي<sup>(129)</sup>. وهكذا تجد أنه من الخطأ الفاحش الزعم بأن أسكيا محمد فلاتي؛ انطلاقاً من لقبه "وري" ويتبين لك تعرض دلالة هذا اللقب للتحريف، وما نتج عنه من أخطاء تاريخية، واستحقاقات باطلة.

### الخاتمة

العلاقة وثيقة بين الدراسات اللغوية والأدبية والدراسات التاريخية، وقد توطدت هذه العلاقة في العصر الحديث الذي لا يمكن فيه لدراسة علمية جادة الاستكشاف عن الاستفادة من غيرها من العلوم، سواء في التحليل أو النقد. قام هذا البحث على نوع من تلك العلاقة في تحليل لغوي واجتماعي لدلالات الألفاظ وتراكيب، حيث تناول تحريف دلالات ألقاب الملوك في إمبراطورية سنغاي (زا ZA، "سوني / سونني"، "أسكيا / ASSIKIA / ASKIA"، "توري TOURÉ / TORIE") وما نتج عن ذلك التحريف من أخطاء تاريخية نموذجاً لما ينتج عن تحريف دلالات الألقاب والأسماء في غرب أفريقيا من أخطاء تاريخية عظيمة، سواء كانت ألقاباً لملوك أو غيرهم، أم أسماء لأماكن أو قبائل أو غيرها. أخطاء لا تزال الألسنة، والبحوث والدراسات، والكتب، تلوكها من غير تمحيص. لا يزال الكثير من تلك التحريفات والأخطاء التاريخية بحاجة ماسة إلى دراسات علمية مماثلة تقوم على الاستقصاء، والدقة، والتحليل، وعلى القرائن اللغوية والتاريخية، والاجتماعية، والسياسية، وغيرها، وعلى المقارنة عند ما تكون للفظ دلالات مشتركة في لغة واحدة، أو عدة دلالات في لغات مختلفة تجاور أهلها قديماً أو حديثاً؛ لما يحدث بالتجاور، والتواصل، والتعارف من الاقتراض اللغوي لفظاً ومعنى، أو لفظاً فقط. لا سيما

بين شعوب وقبائل تشاركت منذ القدم في الدين، والسكن، والثقافة، والحضارة، مع التزاوج أحيانا كثيرة، حال معظم شعوب غرب أفريقيا. لكن المضممار طويل، وشائك، وشائق، لمن أراد أن يسير فيه ليفيد التاريخ، وعلم اللغة الاجتماعي، والناس.

تساعد مثل هذه البحوث والدراسات في الوقوف على صلة القرابة بين القبائل لثُلُوعوب، وعلى بعض مظاهر التأثر والتأثير في العادات، واللغة، والثقافة، والحياة الاجتماعية. وتساعد -أيضا- في تحقيق التعارف الإنساني الصحيح على أحسن وجه، ومن ثَمَّ للثُلُوعوب التناحرات القبلية، والعرقية، والدينية، التي تغذيها في العصر الحديث عوامل كثيرة ليس هنا موضع بسطها.

### الهوامش:

<sup>1</sup> - انظر كتابه: إمداد الصحوة الإسلامية بخلاصة تاريخية محررة عن إمبراطورية سنغاي الإسلامية/40-45 (غير منشور). وهو - حاليا - أستاذ في كلية الشريعة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

<sup>2</sup> - انظر كتابه: الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي/136 حاشية1، 271-272، ط1 عام 1417 هـ 1997م، مكتبة التوبة، الرياض. وهو أستاذ - متقاعد - بكلية التربية، جامعة الملك سعود، الرياض.

<sup>3</sup> - انظر: إمبراطورية سنغاي، د. إبراهيم طرخان، مجلة كلية الآداب جامعة الرياض (جامعة الملك سعود حاليا) مجلد 8 ص24 عام 1981م

<sup>4</sup> - انظر: إمبراطورية سنغاي: دراسة تحليلية في الترتيب التاريخي للإمبراطوريات الإسلامية في غرب أفريقيا، د. هارون المهدي ميغا، مجلة دراسات إفريقية، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، السودان، عدد37، سنة23، يونيو 2007م - جمادى الأولى 1428 هـ ص136-137

<sup>5</sup> - في المرجع هكذا وتُسنتُ لهذه الجماعة من حكم سنغاي". ولعلّ المذكور أعلاه هو الصواب.

<sup>6</sup> اللغة العربية في مدينة تمبكتُ الثقافية بمالي والمنظور المستقبلي من خلال التاريخ والواقع مع دراسة وتحقيق لمخطوط: وقاية المتكلم من اللحن المثلّم ، في النحو ل: محمد بن باد الكنتي التمبكتي/35 حاشية 4 ، رسالة ماجستير ، إعداد عبد الفتاح سعيد سيبي كلية الدعوة الإسلامية طرابلس ، قسم الدراسات العليا ، شعبة اللغة العربية وآدابها ، عام 2004م - 2005م، والمراجع التي نقل عنها. وانظر عن المقصود بالشرق:مِلْراطوريّة سنغاي: دراسة تحليلية (مرجع سابق).

<sup>7</sup> - انظر: تاريخ الفتاش/61، 62-63، وتاريخ السودان/72، 73

<sup>8</sup> تجدر الإشارة إلى أن في لغة سنغاي حرفا آخر للنداء " HÉ " بهاء مكسورة بكسرة مماله، وهذا ينذر استعماله في غير مواطن القصد إلى إهانة المنادى ؛ بسبب ما فيه من تكبير له يترتب عليه شعوره بالإهانة.

<sup>9</sup> - انظر: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، د.محمد الغربي/30 ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية ، دار الرشيد للنشر، عام 1982م. وانظر حول ذلك القول: *Histoire des Songhay Boubou Hama/ 12-16 publicité de R, du NIGER.* وفيه - أَيْضُلُ - هؤلاء لم يكونوا بيضا وإنما هم سود، انظر: ص 14، 91

10 - دائرة المعارف الإسلامية البريطانية 265/12

<sup>11</sup> - تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان لمؤلف مجهول/9، تحقيق هوداس، باريس 1966م. وفي الفتاش/11 "مَنْ فَرَّ".

<sup>12</sup> - انظر - مثلا- على الترتيب: بداية الحكم المغربي (مرجع سابق)/53، والعلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين مالي وسنغاي، الشيخ الأمين عوض الله/65، والعلاقات الاقتصادية والثقافية بين مملكة سنغاي وليبيا فيما بين القرن 8-10هـ 14-16م ، عبد الله موسى برزي ، ص 38 ، وانظر:ص 36 ، رسالة ماجستير، كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ليبيا ، عام 2000م (نقلا عن تاريخ العالم ، السير جون، أ ، همرتن ، مجلد 6 ص 137-139، مكتبة النهضة المصرية). وبداية الحكم المغربي (مرجع سابق)/131-132، وحوليات الجامعة الإسلامية بالنيجر عدد 2 عام 1417هـ ص 264 بحث: التعليم وشيوع التأليف المغربية في بلاد السودان مدى التأثير والتأثر، د. عصمت دندش،

وأسكند الحاح محمد وإحياء الدولة الإسلامية للسونغاي، د.فاي منصور/5-6، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ والحضارة، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، عام 1408هـ (1988م) (غير منشورة).

13 - انظر: تاريخ الفتاش لمحمود كعت/25، 29، 30، 48، 94

4 - المصدر نفسه/42. وممّن تأثر به ونقل عنه: *Histoire des Songhay, Boubou Hama/ 12-16*.

*La contribution socioculturelle du peuple songhoy en Afrique,*

Dr. Hassimi oumarou MAÏGA; Maghreb presse impression p: 30-33, 61-62

وخلاصة القصّة أنّ أصل ملوك سنغاي في هذه الرواية - هناك روايات أخرى مخالفة ومناقضة لها - أختان من أسباط الصحابي جابر بن عبد الله رضي الله عنه، خرجتا يوماً من المدينة المنورة ومعهما ابن مراهق لإحداهما وأصابهما العطش فذهب يبحث عن ماء، ولمّا رجع ومعه ماء لقيته خالته فأبى أن يسقيها قبل أمّه، فلمّا أتاها سألته هل سقيت خالتك فقال: لا، فغضبت عليه وطردته مع الماء، وغضب وطرح نفسه في الصحراء، وانقطع خبره عنهما؛ فصارت خالته في إثره فضلت الطريق حتى وقعت أسيرة في أيدي النصارى؛ فمكثت عند عدّاد نصراني زنى بها فولدت له بنتاً ثم تزوّجها فولدت له ابناً، ثم تزوّجت البنت فولدتا، فلمّا قصّت عليهما قصتها خرجا في طلبه وسمعا بخبره في السودان فوجداه في غاو، ووجدوا أنّ أهل غاو ليس لهم سلطان إلاّ الحوت الكبير يخرج لهم في وقت الأضحى ويجلس لهم إلى وقت الزوال ثم يرجعون إلى بيوتهم، فلمّا وصلا إلى أخيهما قال له أخوه ابن خالته أنا أعلم لك ما تقتل به هذا الحوت فتكون ملكاً على القوم فعلم له دمٌ وقتله به وكان عليهم ملكاً مهيباً مطاعاً الفتاش/30 فمتى تحوّلت المدينة المنورة وما حولها إلى صحراء؟ وفي أيّ صحراء صار الابن، الصحراء العربية أم الصحراء الكبرى؟ وكيف وصل وحده إلى سنغاي؟ وكذلك خالته كيف قطعت كلّ هذه المتأفولحدا حتى وقعت في الأسر؟ ولمّ لم تقع أسيرة إلاّ في يد النصارى ومعروف أنّ المنطقة العربية وشمال أفريقيا قد صارت إسلامية!! والإسلام دخل سنغاي قبل نقل عاصمتهم

من كوكيا إلى غاو التي تأسست 690م 85هـ أي بعد دخول الإسلام إلى سنغاي ما لا يقل عن 45 سنة! لم أسباط جابر بن عبد الله رضي الله عنه دون غيره؟ وما علاقة هذا الصحابي الجليل وأسباطه بإفريقيا وغربها؟ ما خبر الأم التي ألفت بنفسها في التهلكة بحثاً عن ابن أختها؟ أشغلهم الملك عنها وعن إيصال الخبر إليها؟ وصاحب الفتاش حين قال عن أسكيا محملاً رأيتُ ساق نسب أمه إلى سبط جابر بن عبد الله الأنصاري سرد المحقق لهن 94، مع الخطأ الواضح في اسم الأول "الغرض" وهو لفظ استعمله المؤلف بمعناه اللغوي الهدف فحسبه المحقق أو ل اسم من أسباطه!!! ولا يخفى عليك كيف يستغرق هذا العدد سنوات لا تقل عن أربعة قرون، وحتى على هذا لا يقل عمر كل واحد منهم عن إحدى وعشرين سنة، فهل هذا معقول؟ أسئلة كثيرة تبيّن وضع القصة، ناهيك عن اختلاف الروايات في هذا الأصل وتناقضها، وتذليل المؤلف لها بالعبارة السابقة.

15- تاريخ السودان، عبد الرحمن السعدي/2، 4

16 - التاريخ القومي للصفوف التوجيهية- نسخة عربية للمقرر بالفرنسية- إعداد محمد سالف جالو/47-48، المكتبة الإسلامية، الحاج عيسى إنغيبا، بماكو، مالي، عام 1413هـ  
1993م انظر عن الأصل البربري من قبيلة لمتة في ليبيا، وإمكان الردّ عليه بالأسباب التي ذكرها الباحث لهذا الأصل: العلاقات الاقتصادية والثقافية بين مملكة سنغاي وليبيا/14- 42.  
17 يذكر في قصة توليه الملك في سنغاي أنه وصل مع أخيه إلى كوكيا فاستقبلهما سنغاي بحفاوة وضيّفوهما إلى أن قتل كبيرهما الحوت الذي يعبده سنغاي؛ فاستحسنوا فعله، وولّوه

الملك، تاريخ السودان/2- 5

18- انظر: إمبراطورية سنغاي: دراسة تحليلية (مرجع سابق)/130

19- وفي: Histoir des Songhay, Boubou Hama أن هؤلاء لم يكونوا بيضا

وإنما هم سود، انظر: ص14، 91 لكن كتب التاريخ -حسب ما وقفت عليه- لا تذكر لنا

أولادا سودا من أحفاد الصحابي جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

20 - أفريقيا تحت أضواء جديدة Basil Davidson/156-157، ترجمة جمال محمد

أحمد، دار الثقافة، بيروت، عام 1961م.

- <sup>21</sup> - انظر: التاريخ الإسلامي في غرب أفريقيا تحت مطارق الباحثين ، هارون المهدي ميغا ، ص 8، مجلة قراءات أفريقية، مجلة ثقافية فصلية متخصصة في شؤون القارة الأفريقية، عدد1، رمضان 1425 هـ أكتوبر 2004م
- <sup>22</sup> - انظر: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي/29-30 ، يقول -مثلا- : " مما يدل على قوّة صنهجة أنّ المنطقة سميت ببلاد الزنوج أو بلاد الزناجة، وأنّ النهر الكبير الغربي أطلق عليه اسم السنغال، والاسمان معا مشتقان من صنهجة". وقد أحال على عبد العزيز بن عبد الله: تاريخ الحضارة المغربية 22/1. ولم أقف عليه.
- <sup>23</sup> - انظر: صحراء العرب الكبرى دمحمّد سعيد القشّاط/10، 82، 95 ، ذي قار، ط2 عام1999م
- <sup>24</sup> - من روائع أدب أفريقيا فيما وراء الصحراء، الهادي المبروك الدالي/26، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1 بدون.
- <sup>25</sup> - انظر: صحراء العرب الكبرى/8، 28، 119، ومن روائع أفريقيا، حاشية 6 ص 44-45
- <sup>26</sup> - انظر: إمبراطورية سنغاي: دراسة تحليلية ص123، وحاشية20. ويحاول كثير من الشعبين وبخاصة المثقفون والعلماء والمؤرخون إثبات نقرُح أحدهما من الآخر، وقد كانت المنافسة في ذلك بداية اهتماماتي بالتاريخ والحضارة وبالتعليم الإسلامي العربي في غرب أفريقيا؛ قراءةً ودراسةً منذ عام 1404 هـ 1984م. وهناك قصة طريفة تتعلق بمحاولتي حيث قامت منافسة بين بعض السنغيين من مالي وأنا وزميلي د. عبد الرحمن عبد الله سيسي، وبين بعض السوننكيين من مالي مصطفى نيماعا، ومن السنغال سعيد دابو وأبو بكر درامي، وكذّا في المعهد الثانوي بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، ماعدا درامي الذي كان في كلية الشريعة ولمّا لم تكن نجد في المكتبة المركزية بالجامعة ما يتعلق بتاريخ غرب أفريقيا إلا نسخة وحيدة من كتاب نعيم قدّاح " أفريقيا الغربية"، والجزء السادس من موسوعة التاريخ الإسلامي للدكتور أحمد شلبي، كان من يسبق إلى أحدهما يخفيه على رفّ آخر حتى ينتهي من قراءته ؛ لعلّه يطلع على أدلّة تقوي جانبه لم يطلع عليها الفريق الآخر، بل قام بعضنا بنسخ ما يتعلق بهذه الإمبراطوريات من الكتالوجين. مسوّدة أوّليّة لبحث يحاول أن يناقش القرابة

- بين الشعوب الثلاثة "سنغاي، وسوننكي، وماندغ". أسأل الله أن يبسر له المصادر والمراجع العلمية، وأن يكتب له التوفيق والسداد والدقة العلمية والموضوعية.
- 27 - اللغة العربية ثقافتها وأعلامها في مالي حتى نهاية القرن العاشر الهجري/39، رسالة ماجستير، إعداد عبد القادر إدريس، كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس ليبيا، عام 1997م.
- 28 - انظر: الفتاش/4 وفيه بُذِرَ دُ، والعلاقات الاقتصادية والثقافية بين مملكة سنغاي وليبيا/47، حاشية وتعلُّق الضبط الصحيح لـ بُذِرَ دُ " هو باء ونون مفتوحتان، ثم نون ساكنة، وتاء مفتوحة، ودال مكسورة: Banan ta di، وحتى على هذا يؤتي التركيب معنى الملك الأخير، أو خاتم الملوك، فهل كان يعتقد ألا يأتي بعده ملك من سنغاي؟ بعيد.
- 29 - بداية الحكم المغربي في السودان الغربي/54 الحاشية
- 30 - من روائع أدب أفريقيا، الهادي الدالي، حاشية 6 ص 44-45
- 31 - العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي/66
- 32 - انظر: اللغة العربية في مدينة تمبكت الثقافية بمالي (مرجع سابق) /35 حاشية 6
- 33 - انظر: إمداد الصحوة الإسلامية (مرجع سابق)/42
- 34 - انظر: ص 10-11 من مجلة قراءات أفريقية (مرجع سابق)
- 35 - رحلة ابن بطوطة/689
- 36 - إمداد الصحوة/42
- 37 - انظر مثلا ص 56،72
- 38 - انظر: تاريخ الفتاش/43، وتاريخ السودان/64-65، 67
- 39 - الفتاش/43-48، وتاريخ السودان/67، وانظر إمداد الصحوة/93-94، 97-98
- 40 - اللغة العربية في مدينة تمبكت الثقافية/140-141 حاشية 10
- 41 - التاريخ القومي للصفوف التوجيهية (مرجع سابق)/5، كتبه بالجيم، وفي النسخة الفرنسية GALY. تأثر به ونقل عنه سانوغو، وكتبه خطأ بمالي"، انظر: مملكة كينيدوقو في السودان الغربي ومقاومتها للاحتلال الفرنسي، مرتضى سعيد سانوغو، بدون تاريخ ولا طبع، حُفَّتْ في بعضها إلى دال على أن المراد تعالي، نقله كعت عن بعضهم، وأدَّه يطلق -أيضا- على

كُومَ كُيْ ، وِجَنُّ كُويْ ، ولا أعرف له هذا المعنى. ولعلّه تصحيف لـ "عالي" بمدّ فتحة العين، المنقول عن "علي". سلّتي أنه يكثر من الإشارة إلى سنيّ علي ثبّي عالٍ ."

<sup>42</sup>- انظر: ص 12-13 من مجلّة قراءات أفريقية (مرجع سابق)

<sup>43</sup>- انظر: الفتاش/44، 45، 46، 55، 71، 74. يقول: وفي السابع عشر أرسل عليّاً

المسمّى ع ل فلنّ " ص76

<sup>44</sup>- انظر: - مثلا- تاريخ السودان للسعدي/72، ومجلّة كلية الشريعة فرع الأحساء ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ص628 ، عدد 1 سنة 1401هـ 1402هـ، وأسكيا الحاج محمد وإحياء الدولة الإسلامية للسناغي، 40، 48-49 والحركة العلميّة والثقافية والإصلاحية/136 حاشية1، وتاريخ أفريقيا السوداء، ج. كي زير بو 235/1 حاشية18، ترجمه عن الفرنسية يوسف الشام، منشورات وزارة الثقافة السورية، عام 1994م، وغيرها.

<sup>45</sup> - اللغة العربية في تمبكت الثقافية/38

<sup>46</sup>- انظر: الحركة العلميّة والثقافية والإصلاحية/136 حاشية1

<sup>47</sup>- انظر: المرجع نفسه/271- 272. تأثّر بالدكتور جبريل المهدي ميغا، الذي كان قد انتهى من مسودة كتابه " إمداد الصحوة الإسلامية بخلاصة تاريخية محررة عن إمبراطورية سنغاي الإسلامية " ، فكتب للدكتور أبي بكر المعلومات بخطّ يده في ورقتين، وأخبرني بالأمر، كما أطلعني الدكتور أبو بكر نفسه فيما بعد على الورقتين، ولكنّه لم يشر في كتابه إلى الدكتور جبريل، ولم يمحُ من كتابه رأي الأوّل أو ينتقده.

<sup>48</sup>- انظر: إمبراطورية سنغاي ، د. إبراهيم طرخان ( مرجع سابق ) ص24

<sup>49</sup>- انظر: إمداد الصحوة الإسلامية/40-45

<sup>50</sup> - انظر ما قاله عنه محمود كعت في تاريخ الفتاش/59

<sup>51</sup>- الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية/134، وانظر: 135

<sup>52</sup>- حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غرب إفريقيا، د. مهدي رزق الله أحمد/239 بتصرف، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط1 عام 1419هـ 1998م.

<sup>53</sup>- تاريخ الفتاش/45-46



- <sup>54</sup> - انظر: الفتاش/58-59، حيث قال: "هذه ترجمة أمير المؤمنين وسلطان المسلمين أبي عبد الله أسكيا محمد بن أبي بكر... إلى وفاته في ص. 87"
- <sup>55</sup> - انظر إمبراطورية سنغاي، د. طرخان/70
- <sup>56</sup> - الإسلام والمجتمع السوداني: إمبراطورية مالي، د. أحمد الشكري/32 حاشية 46، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط1 عام 1420هـ/1999م، وانظر: التاريخ الإسلامي في غرب أفريقيا تحت مطارق الباحثين، هارون المهدي ميغا، ص 8، مجلة قراءات أفريقية (مرجع سابق)
- <sup>57</sup> - انظر: إمبراطورية سنغاي، د. طرخان/23
- <sup>58</sup> - وفي بحثكم مكة والمدينة والحج في وجدان سكان السودان وما جاورهم من بلدان أفريقيا " مجلة الحج (جدة) سنة 61، عدد 6، جمادى الآخرة 1427هـ، ص 85، يذكر د. عون الشريف قاسم أن الداعية ألفا هاشم بن أحمد سعيد (ت 1930هـ) وحفيد الحاج عمر بن سعيد، كان يسكن في أحد المنازل التي ينفق من ريعها على ذلك الوقف. وقد نقل هذا الوقف قبل عشر سنوات تقريبا إلى حي بالمدينة المنورة ببناء عمارة شاهقة.
- <sup>59</sup> - انظر: الفتاش/29-30، وص 7-8 من هذا البحث.
- <sup>60</sup> - الفتاش/30
- <sup>61</sup> - إذ ما قلت " الثانية؛ لأن الإمبراطورية الأولى هي التي أسسها السونديون، وما قبلهما مملكتان، انظر: إمبراطورية سنغاي: دراسة تحليلية (مرجع سابق) /129
- <sup>62</sup> - تاريخ الفتاش /10
- <sup>63</sup> - المصدر نفسه/59
- <sup>64</sup> - تاريخ السودان/71
- <sup>65</sup> - إمبراطورية سنغاي د. إبراهيم طرخان/24
- <sup>66</sup> - سياي تحليل دلالاته وعلاقته بأسكيا.
- <sup>67</sup> - الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية/15
- <sup>68</sup> - انظر في ذلك أسكيا الحاج محمد والنولة الإسلامية للسنغاي/41-42
- <sup>69</sup> - انظر المرجع السابق /41 حاشية 5؛ إذ اسم القبيلة هو "سيللا" بلامين، انظر: تاريخ إفريقيا السوداء/235، وحاشية 18/صفحة نفسها أن اسمه محمد تور دو ..

- 70 - انظر -مثلا- ص10
- 71 - انظر: الفتاش/10، 59، 136.
- 72 - انظر القائلين بهما في أسكيا الحاج محمد والدولة الإسلامية/41 حاشية5، 42.
- 73 - انظر: تاريخ أفريقيا السوداء/1 235 حاشية 18.
- 74 - انظر: الفتاش/13
- 75 - انظر: بحثي: "المراسلات العلمية وأثرها التعليمي والدعوي بغرب أفريقيا، رسالة بن باز نموذجاً" مجلة قراءات أفريقية (مرجع سابق)، العدد 3 ذو الحجة 1429 هـ ديسمبر 2008م ( ص4-5. وتفصيلاً أكثر في بحثي الذي قدّم إلى المعهد الثقافي الأفريقي العربي في باماكو للمشاركة في مسابقة علمية عن التواصل الأفريقي العربي نظّمها، وعنوانه: "المراسلات العلمية وأثرها التعليمي، والثقافي، والإصلاحي، بغرب أفريقيا" منذ أغسطس 2008م ص7-9 ولمّا تظهر النتائج.
- 76 - انظر: المصدر نفسه - مثلاً - ص23، 58
- 77 - الفتاش/13، 24، 25، 28، 84
- 78 - العلاقات الاقتصادية والثقافية بين مملكة سنغاي وليبيا/65
- 79 - انظر ص 136
- 80 - انظر: صفحة 8 لمن هذه الدراسة، وإمداد الصحوة/46
- 81 - انظر: الثقافة العربية في السنغال/43- 44
- 82 - انظر: إمداد الصحوة/46
- 83 - انظر: إمبراطورية سنغاي د. طرخان/24، 80، وأسكيا الحاج محمد/ 41 حاشية5
- 84 - معلومة شفوية من عبد الرحمن سيبي عن أخيه محمد الصالح سيبي عن العم موسى كماري.
- 85 - لا يحضرنى -الآن- المرجع الذي قرأت فيه هذه المقولة ولا الأوراق التي نقلتها فيها. ويذكور بيلى ميغا أنّ ثقة أخبره بأنّه سمع هذا الرئيس وهو يتحدث عن أسرته فذكر أنّهم من سنغاي من سلالة أسكيا محمد، انظر: إمداد الصحوة/51

- <sup>86</sup> - الحضارات الإفريقية، دينز بوليم/73، ترجمه عن الفرنسية نسيم نصر، منشورات عويدات، بيروت/باريس، ط3 عام1988م، وموسوعة التاريخ الإسلامي، د.أحمد شلبي/272/6، وتاريخ أفريقيا السوداء من أمس إلى غد ، جوزيف كي زيرو/330/1، والعلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي/119
- <sup>87</sup> - وهو (( مرتزق أسباني مسيحي ))، (( جودر باشا المرتزق الأسباني ))، (( وكان معظم قياداته العسكرية من الفسوسة المسيحيين الأسبانيين المرتزقة ))، (( نحو القسيس القائد مامي، والقسيس القائد فريدو، والقسيس باختيار، وهم من كبار قيادات الجيش المغربي في السودان إضافة إلى قائدهم الكبير جودر باشا الأسباني )) اللغة العربية في مدينة تمبكت الثقافية/36 حاشية 4، 49 حاشية2، 144 وحاشية 4. وانظر: مراجعه في الصفحات نفسها. وستأتي الإشارة إلى أن في مركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية بمدينة تمبكتو مخطوط " في شأن دخول جيش الروم في مدينة تمبكت " لمؤلف مجهول.
- <sup>88</sup> - انظر: الحضارات الإفريقية/73/1 إمبراطورية سنغاي د.طرخان/98
- <sup>89</sup> - إمبراطورية سنغاي د.طرخان/98-99. وانظر تفاصيل أكثر في: تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان(مرجع سابق ) ، ومجلة جامعة الإمام فرع الأحساء (مرجع سابق) ص640-642 والحركة العلمية والثقافية/239-258 وإمداد الصحوة/202-268، 329-341
- <sup>90</sup> - اللغة العربية في مدينة تمبكت الثقافية/20 حاشية 10
- <sup>91</sup> - المرجع نفسه/111
- 2 - المرجع نفسه/110 حاشية 2
- <sup>93</sup> - يقول ابن بطوطة: (وصلنا إلى قرية زاغري، وهي قرية كبيرة يسكنها تجار السودان، ويسمونها ونجراته، ويسكن معهم جماعة من البيضان يذهبون مذهب الأباضية من الخوارج ويسمونها صدغغغو، والبيسون المالكيون من البيض يسمىون عندهم بتوري" )) رحلة ابن بطوطة/689
- <sup>94</sup> - انظر: إمداد الصحوة/47
- <sup>95</sup> - الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية/134، وانظر: 135

96- حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غرب إفريقيا، د.مهدي رزق الله أحمد/239 بتصرف، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط1 عام 1419هـ. 1998م.

97- تاريخ الدول والإمبراطوريات الإسلامية في السودان الغربي والأوسط، د.عمر عبد الماجد/16، وانظر: 139، 147، 148، أروقة للثقافة والعلوم، الخرطوم، السودان، فبراير عام 2004م.

98- أخبرني بهذا زميلي الذي استمع إلى البرنامج عبد الرحمن سيبي، الأستاذ في المدرسة العليا لإعداد المعلمين بيمكو، يوم الخميس 1429/9/25هـ، 20008/9/25م.

99- انظر: مقابلة مراسل هيئة الإذاعة البريطانية (العربية) الذي سافر إلى بيمكو لمقابلة حيدره، وأذيعت المقابلة عام 1996م في برنامج "حول أفريقيا". ومقال: "يهود سود في مالي" سينان أندريا ميرادو، مجلة جين أفريقيا JEUNE AFRIQUE "الفرنسية، عدد 1879، 8-14 يناير 1997م ص20-22، ترجمه إلى العربية علي الشريف العربي، بتاريخ 1418/6/28هـ، رابطة العالم الإسلامي، بمكة المكرمة وإمداد الصحوة/320-328. ورسالة المؤرخ أبو بكر ميغا (الشريف) -رحمه الله- بتاريخ 1997/10/26م، بيمكو. إلى الدكتور أبي بكر إسماعيل ميغا، أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة الملك سعود بالرياض، يدعو فيها هو ومن معه من الباحثين السنغيين في السعودية إلى الردّ على مزاعم حيدره التي نشرها. أحال الدكتور أبو بكر الرسالة إلى كاتب هذه السطور ولا تزال معه، وهي ورقة واحدة وجهها مليونان بالكتابة. واللغة العربية في مدينة تمبكت الثقافية/309-10. وقد نقل نصّ رسالته المفتوحة إلى رئيس جمهورية مالي الأسبق ألفا عمر كوناري، ورئيس وزراء إسرائيل، والسلك الدبلوماسي المعتمد لدى جمهورية مالي بمطالب جمعهم/310-311. كما تناول عبد العزيز محمد ميغا قضية إسماعيل جاجي ورسائله في أطروحته للدكتوراه بعنوان: الإسلام بين تحديات التصير ومخاطر الغزو الفكري في غرب أفريقيا، مالي نموذجاً، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، عام 2006-2007م. ونشر إسماعيل جاجي كتاباً بالفرنسية، وعنوانه:

Le Atempds de l'Afrique noire, Mali: jufs noirs, ét maliens 1995

- <sup>100</sup> - انظر: بحث: التاريخ الإسلامي في غرب أفريقيا تحت مطارق البلحئين ، مجلة قراءات أفريقية (مرجع سابق) ص 23
- <sup>101</sup> - انظر: إمداد الصحوة/317-318 عن صناعة الأسكوية في تنبكتو بعد الغزو المغربي، وما نتج عنها وعمّا يماثلها في المنطقة.
- <sup>102</sup> - انظر: المرجع السابق/321 بتصرف، وانظر: ص 323-324، 325
- <sup>103</sup> - انظر: الإسلام في الدولة العلمانية مالي، الشيخ شيرنو هادي عمر تيام/107-108، ط1 عام 1414هـ 1993م، بماكو، بدون.
- <sup>104</sup> - الإسلام في الدولة العلمانية مالي/110-111
- <sup>105</sup> - المرجع السابق/111
- <sup>106</sup> - تاريخ الفتاش/47-84
- <sup>107</sup> - تاريخ أفريقيا السوداء 235/1، وحاشية 18 من الصفحة نفسها.
- <sup>108</sup> - الروض المعطار في خبر الأقطار، معجم جغرافي، تأليف محمد بن عبد المنعم الحميري تحقيق لإحسان عباس/319، مكتبة لبنان، بيروت، ط2 عام 1984م.
- <sup>109</sup> - المصدر نفسه/134
- <sup>110</sup> - انظر: المصدر السابق، مقدمة المحقق/ك
- <sup>111</sup> - المصدر نفسه/319
- <sup>112</sup> - انظر: المصدر نفسه/134
- <sup>113</sup> - انظر: الفتاش/53، 55
- <sup>114</sup> - انظر: تاريخ الفتاش/40، 76-77، وتاريخ السودان/: 77-78
- <sup>115</sup> - حدّثني بذلك عن قريته زميلي من جمهورية غينيا ساموكا داود سوماو ورو، أستاذ الدعوة بالجامعة الإسلامية بالنيجر، وأنه اكتشف الأمر بسبب حادثة خلاف بين مجموعتين أراد التركيز في الإصلاح بينهما على أنهما قبيلة واحدة، فأخبرته مجموعة الماندينغآن أولئك ليسولماندي، وإنما هم سنغاي ماندي، أي سنغيون تحولوا لغويا واجتماعيا إلى ماندي.
- <sup>116</sup> - تاريخ أفريقيا السوداء 235/1، وحاشية 18 من الصفحة نفسها.

- 7 لهذا، والصواب جيء بها؛ لأنَّ الفعل جاء لا يتعدَّى بنفسه بل بحرف الجرِّ
- <sup>18</sup> - الثقافة العربية في السنغال/43-44
- <sup>19</sup> - إشارة إلى تفسير نجا أوقُ بـ "جا عكا" والانتلاق منه إلى القول بأنَّ أمراء بلاد فوتا من الشام، من مدينة عكا، في إسرائيل حالياً.
- <sup>20</sup> - الثقافة العربية في السنغال /43
- <sup>21</sup> - المرجع نفسه/52
- <sup>22</sup> - انظر: المرجع نفسه/47
- <sup>23</sup> - المرجع نفسه/51-52
- <sup>24</sup> - تاريخ الدول والإمبراطوريات الإسلامية في السودان الغربي والأوسط/14
- <sup>25</sup> - من الخطأ نحو: "تأليف الحاج سعد بن عمر سعيد جلياً الفوتي توري" الذي بدأ يظهر على غلافات بعض الطبقات الأخيرة من كتب الشيخ - رحمه الله - المطبوعة في المغرب (المبادئ الصرفية 1-2 طبعة 1427هـ) إذ لم يرد في الطبقات الأولى، والشيخ وهو اللغوي القدير، والنحوي البارح للصرفي المتكّن، بريء منه.
- <sup>26</sup> - انظر إمبراطورية الفولانيين الإسلامية د. إبراهيم طرخان/100، 108 مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض "الملك سعود حالياً" مجلد 6 عام 1399هـ. 1979م
- <sup>27</sup> - انظر: المرجع نفسه/107، والحضارات الأفريقية/85
- <sup>28</sup> - تاريخ الدول والإمبراطوريات الإسلامية/13
- <sup>29</sup> - انظر: إمبراطورية الفولانيين/107، 111

## المصادر والمراجع

1. أسكيا الحاج محمد وإحياء الدولة الإسلامية للسونغاي، د. فاي منصور، قسم التاريخ والحضارة، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، عام 1408هـ 1988م.
2. الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي، د. أحمد الشكري، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط1 عام 1420هـ-2005م.

3. أفريقيا تحت أضواء جديدة Basil Davidson، ترجمة جمال محمد أحمد، دار الثقافة، بيروت عام 1961م.
4. إمبراطورية سنغاي، لإبراهيم طرخان، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض (الملك سعود حالياً) مجلد 8 عام 1981م.
5. إمداد الصحوة الإسلامية بخلاصة تاريخية محررة عن إمبراطورية سنغاي الإسلامية، برهنة علمية على الهوية الإسلامية الأصيلة للشعوب السودانية في أفريقيا الغربية، د. جبريل المهدي ميغا (غير منشور).
6. بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، د. محمد الغربي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، دار الرشيد للنشر، عام 1982م.
7. تاريخ أفريقيا السوداء من أمس إلى غد، جوزيف كي زيرو، ترجمه عن الفرنسية يوسف الشام، وزارة الثقافة السورية، عام 1994م.
8. تاريخ الدول والإمبراطوريات في السودان الغربي والأوسط، د. عمر الماجد، فبراير عام 2004م، أروقة للثقافة والعلوم، الخرطوم، السودان.
9. تاريخ السودان، عبد الرحمن السعدي
10. تاريخ الفتاش، محمود كعت
11. التاريخ القومي للصفوف التوجيهية، إعداد محمد سالف جالو، المكتبة الإسلامية الحاج عيسى إنغيبا، بماكو، مالي، عام 1413هـ 1993م.
12. تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان، مؤلف مجهول، تحقيق هوداس، باريس، 1966م
13. الثقافة العربية الإسلامية في الغرب الأفريقي، د. عمر صالح باه، مؤسسة الرسالة، ط1 عام 1413هـ 1993م.
14. حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غرب أفريقيا، د. مهدي رزق الله أحمد، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط1 عام 1419هـ 1998م.

15. الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي، د. أبو بكر إسماعيل ميغا، مكتبة التوبة، الرياض، ط1 عام 1417هـ 1997م.
  16. الحضارات الإفريقية، دينز بوليم، ترجمه عن الفرنسية نسيم نصر، منشورات عويدات ، بيروت/باريس، ط3 عام 1988م.
  17. دائرة المعارف الإسلامية (البريطانية)
  18. رحلة ابن بطوطة
  19. الروض المعطار في خبر الأقطار، معجم جغرافي، تأليف محمد بن عبد المنعم الحميري، تحقيق لإحسان عبّاس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2 عام 1984م.
  20. صحراء العرب الكبرى، دمحم سعيد القشّاط ، ذي قار، ط2 عام 1999م.
  21. العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد سلطنتي مالي وسنغاي ، الشيخ الأمين عوض الله ، دار المجمع العلمي، جدّة ، ط1 عام 1398هـ 1979م.
  22. مملكة كينيدوقو في السودان الغربي ومقاومتها للاحتلال الفرنسي، مرتضى سعيد سانوغو، بدون تاريخ ولا طبع.
  23. من روائع أدب أفريقيا فيما وراء الصحراء، الهادي المبروك الدالي، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1 بدون.
  24. موسوعة التاريخ الإسلامي، د.أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1 عام 1973م.
  25. Histoire des Songhay Boubou Hama/ 12-16 publicité de R, du NIGER
  26. La contribution socioculturelle du peuple songhoy en Afrique,
- Dr. Hassimi oumarou MAÏGA; Maghreb presse impression

الرسائل العلميّة:



- 27 الإسلام بين تحدّيات التنصير ومخاطر الغزو الفكري في غرب أفريقيا، مالي نموذجاً، أطروحة دكتوراه، إعداد عبد العزيز محمد ميغا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، عام 2006-2007م.
- 28 لعلاقات الاقتصادية و الثقافية بين مملكة سنغاي وليبيا فيما بين القرون 8-10هـ 14-16م ، عبد الله موسى برزي، رسالة ماجستير، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، عام 2000م.
29. اللغة العربية ثقافتها وأعلامها في مالي حتى نهاية القرن العاشر الهجري، عبد القادر إدريس أرونا، رسالة ماجستير، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، عام 1997م.
30. اللغة العربية في مدينة تمبكت الثقافية بمالي والمنظور المستقبلي من خلال التاريخ والواقع، مع دراسة وتحقيق لمخطوط:وقاية المتكلم من اللحن المثلّم، في النحو، ل: محمد بن باد الكنتي التيبكتي، عبد الفتاح سعيد سيبي، رسالة ماجستير، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، عام 2004م 2005م.
- المجلّات:**
31. حوليات الجامعة الإسلامية بالنيجر، عدد 2 عام 1417هـ.
- 32مجلة الحجّ والعمرة(زرّ الحجّ ، جدّة) سنة 61، عدد 6، جمادى الآخرة 1427هـ.
33. مجلة دراسات أفريقية، مركز البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة أفريقيا العالمية، الخرطوم، السودان، عدد 37، سنة 23، يونيو 2007م جمادى الأولى 1428هـ.
34. مجلة قراءات أفريقية، مجلة ثقافية متخصصة في شؤون القارة الأفريقية ، يصدرها المنتدى الإسلامي، عدد 1 ، رمضان 1425هـ أكتوبر 2004م. والعدد 3، ذوالحجّة 1429هـ ديسمبر 2008م.
35. مجلة كليّة الآداب، جامعة الرياض "الملك سعود حالياً" مجلد6 عام 1399هـ1979م
36. مجلة كلية الشريعة، فرع الأحساء ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، عدد1 سنة1عام1401هـ1402هـ،
37. عدد 1879، 8-14 يناير 1997م Jeune Afrique

